تاريخ المصريين ١٨٠

الحقيقة التاريخية حول قرار تأميم شركة قناة السويس

بقلم

د . عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

• تاريخ المصريين

تصدر عن
الهيئة المصرية العامة للكتاب

الحقيقة التاريخية حول
قرار تأميم شركة قناة السويس

بقلم

د. عبد العظيم رمضان

الهيئة المصرية العامة للكتاب

فرع الصحافة

٢٠٠٠

تقـــديم

يضم هذا الكتاب مجموعة المقالات التاريخية التى نشرتها فى جريدة الوفد الغراء ردا على فيلم « ناصر ١٩٥٦ » ، الذى أثار عرضـــه ضجة فى الرأى العام المصرى والعربى منذ عرضه .

كان هـــدفى من كتابة هـــذه المقالات وقتئذ التصـــدى للأباطيل التى قدمها هذا الفيلم ، بمحاولته تصـــوير قرار تأميم شركة قناة الســـويس فى صـــورة عمل بطولى خالد واخفـــاء الأخطاء القاتلة التى ارتكبها عبد الناصر عند اتخاذ هذا القرار ! فلقد كان من حق الشـــعب المصرى والشعوب العربيـــة معرفة الحقيقة التاريخية حول هذا القرار وما ترتب عليه ، من واقع الوثائق التاريخيـــة الأصلية التى لا تكذب ، بعيدا عن الدعاية والتزويق !

وكان لى هدف آخر هو أن تفصـــل الشعوب العربيـــة دائما بين ما تسوقه الأفلام التاريخيـــة من مشـــاهد وروايات

تفرضها الحبكة الفنية أو تقودها الأغراض السياسـية ، وبين الحقـائق التاريخيـة التي يكتبها مؤرخون أكاديميون يحققون الوقائع التاريخية من أرضية موضوعية بحتة . وبمعنى آخر أن تعرف الشعوب تاريخهـا من الكتب التاريخية العلميـة وليس من الأفـلام السينمائية والتمثيليات التاريخيـة ، حتى يتكون ضميرها القومي تكوينا صحيحا .

من هنا كان اهتمامي بنشر هـذه السلسلة من المقـالات التاريخية في كتاب يحتل مكانة في المكتبة العربيـة ، وسـهل اقتناؤه ، لعلمي بصعوبة الاطلاع على هذه المقالات متنقلا في أعداد صحيفة الوفد في محفوظات دار الكتب .

وأملي أن أكون قد أسهمت بنشر هذا الكتاب في تنوير الرأي العام المصري والعربي بالحقائق التاريخيـة حتى يعرف ماضيه وحاضره ويبني مستقبله على أساس سليم .

والله الموفـق »

رئيس التحرير

د. عبد العظيم رمضان

- ١ (*) -

كوميديا احالة عبد الناصر الى المعاش !

لم أستطع أن أخفى قلقى من الحملة الدعائية التى جرت لثــورة يوليو فى كل مجــال اعــلامى : فى الصــحف ، وفى التليفزيــون ، وفى الســينما بمناسـبة فيــلم « ناصر ٥٦ » حتى لقد قال البعض مازحا أنه شعر بأنه يعيش فى الخمسينيات والستينيات قبل هزيمة يونيو ١٩٦٧ ، حين كان كل شىء فى مصر مسخرا للدعاية للثورة ولأمجادها ولعظمة قائدها !

وسر قلقى هو أن ما حدث فى هذا الصدد هو أمر جديد ، صحيح ان نظامنا الســياسى جرى على الاحتفال سنويا بثورة يوليو تحت اعتقاد أنه وريث ثورة يوليو وأنه الامتداد الطبيعى لها ، ولكن ما جرى بمناســبة فيلم « ناصر ١٩٥٦ » فاق كل ما جرى فى الأعوام السابقة بكثير .

وهو أمر غريب ، فقد جرى العرف على أن يروج كل نظام

(*) الوفد الموافق ١٢ اغسطس ١٩٩٦ م .

سياسى لنفسه من خلال وسائل الاعلام الناطقة والمرئية والمقروءة ، خصوصا اذا كان يملك معظمها كما هو الحال فى مصر ، ولكن لم تجر العادة على أن يجرى الترويج لنظام أسبق لا تربطه به غير ما ينسبه لنفسه من انه وريث له !

والأمر الأغرب أن يتخطى نظامنا السياسى النظام السابق عليه الى النظام الأسبق ! بمعنى انه بدلا من أن ينسب نظامنا السياسى نفسه الى نظام مايو ، أى نظام السادات السابق عليه ، فانه ينسب نفسه لنظام يوليو ، أى الى النظام الناصرى بالدرجة الأولى ، ويتبرأ تقريبا من انتسابه لنظام السادات ! ، بل انه فى احتفالات أكتوبر ١٩٩٦ كان التليفزيون المصرى يتجاهل بطل حرب أكتوبر وصاحب الفضل فى نصر العبور ، وهو الرئيس الراحل السادات ، ويركز برامجه على بطل هزيمة يونية وصاحب الفضل فى احتلال اسرائيل سيناء وغزة والضفة الغربية والجولان ، وهو الرئيس الراحل جمال عبد الناصر ! وهو ما استلفت أنظار الكثيرين من أبناء شعبنا ، وكان مثار تعليقات شتى !

وهذا المنطق قد يكون معقولا لو أن نظامنا السياسى يستهدى فى سياسته الداخلية بسياسة ثورة يوليو ، أى بسياسة جمال عبد الناصر ، أما أن تكون سياسته الداخلية هى انقلاب على سياسة يوليو وعبد الناصر ، فان الأمر يستدعى التأمل ! بل

انه حين تكون سياسة عبد الناصر هى انشاء القطاع العام وتكون سياسة نظامنا السياسى هى بيع القطاع العام ! وحين تكون سياسة عبد الناصر هى تحرير الاقتصاد المصرى من اليد الأجنبية ، وتكون سياسة نظامنا السياسى هى دعوة المستثمرين الأجانب لشراء الاقتصاد المصرى — أقصد دعائم الاقتصاد المصرى ، وهو القطاع العام — فان الأمر يدعو الى أن نضرب كفا على كف ونحن نرى نظامنا السياسى يمجد ثورة يوليو كما لو كان يسير على صراطها المستقيم !

وكثيرون يرون أن السر فى مبالغة نظامنا السياسى فى الاحتفال بذكرى ثورة يوليو لا صلة له لا بالسياسة الداخلية ولا بالسياسة الخارجية ، وانما السر هو التمسك بنظام الحكم الذى أرسته ثورة يوليو ، والذى يلغى من الناحية الفعلية أية مجالس تمثيلية ويحيلها الى تنظيمات صورية ، ويجعل السلطة مركزة فى يد رئيس الدولة ، ويجعل النظام ممثلا فى شخصه على نحو ما كان نظام عبد الناصر ممثلا فى شخص عبد الناصر ، ونظام السادات ممثلا فى شخص السادات !

وهذا الكلام قابل للجدل ، ولكن الشىء المؤكد هو أن نظام مبارك ليس فى حاجة الى الانتساب الى ثورة يوليو أو أية ثورة ، فله سماته وخصائصه ومميزاته التى تجعل منه نظاما

مستقلا قائما بذاته ليس له شبيه فيما سبقه من أنظمـة سياسية ، وانجازاته فى السياستين الداخلية والخارجيـة تجعل منه نظاما متفردا تماما .

وفى كل الأحوال فمن المحقق أن موقف شـعبنا من ثورة يوليو قد أكدته الانتخابات الأخيرة عندما سقط رئيس الحزب الناصرى وسقط جميع مرشحيه ، ولم ينجح منهم سـوى فرد واحد ، لا بسبب مبادئه الناصرية وانما بسبب عصبيته ! فهذا النائب الناصرى الواحد هو شـاهد حى على اتجاهات شعبنا السياسية بازاء ثورة يوليو رغم الجلبة والضـوضاء التى يحدثها الناصريون فى صحفهم وفى وسـائل الاعلام والتى يحـاولون بها خداع شعبنا وتزوير تاريخه .

وقد كان شعبنا هو الذى صاغ عبـارة ان الكذب ليس له قدمان ، ولكن الناصريين ينسـون هذه الحكمة . ومن هنا فقد ضحك الكثيرون الذين شاهدوا فيلم ناصر ٥٦ عندما ظهر عبد الناصر فى أحد المشاهد وهو يقول للسيدة حرمه انه ينتظر حتى يحـال الى المعاش ثم يقوم برحلة ترفيهية معها ومع الأولاد تعوضهم عن المعاناة التى شهدوها ! أثناء الحكم ! ولست أدرى حقيقة هل كانت هـذه الكوميديا فى هـذا الفيلم التسجيلى مستقاة من نص تاريخى أو وثيقة ؟ أو انها كانت من محض خيال

كاتب الفيلم محفوظ عبد الرحمن ؟ وقد أراد بها تقريب عبد الناصر الى قلوب أفراد الشعب العاديين الكادحين الذين ينتظرون الخروج على المعاش للترويح عن أنفسهم ؟ انه اذا كانت هذه العبارة مستقاة من نص تاريخى أو وثيقة فأغلب الظن ان هذا النص أو تلك الوثيقة مزورة ، أما اذا كانت من محض خيال كاتب السيناريو محفوظ عبد الرحمن فلاشك انها أتت بعكس المقصود منها تماما ، لانها أبرزت على الفور حقيقة شخصية عبد الناصر التى تريد العبارة السالفة الذكر تزويقها بسذاجة ، اذ لم يصدق أحد من المشاهدين ان عبد الناصر ذلك الدكتاتور الذى تخلص من منافسيه على الحكم بكل الطرق ، ونكل بمعارضيه ، هو مجرد موظف فى الدولة يحال الى المعاش كما يحال الموظفون العاديون !

وفضلا عن ذلك فان نظام الحكم نفسه الذى أسسه عبد الناصر ليس فيه هذا الاختراع الغريب الذى يستهين بذكاء الجماهير فى فيلم ناصر ٥٦ ، وهو خروج رئيس الدولة على المعاش !

فرئيس الدولة وفقا للدستور ينتخب باستفتاء عام ويستمر فى منصبه حتى موعد الاستفتاء التالى ، فيتقدم لترشيح نفسه ويبقى فى منصبه حتى موعد الاستفتاء التالى ، وهكذا . وفى ظل النظام الدكتاتورى الذى فرضه عبد الناصر فان هذا

الاستفتاء كان استفتاء صـوريا ، محـددة النتائج فيه مقدما بالتسعات الخمس الشهيرة أى ٩٩٫٩٩٩ فى المـائة فمتى ــ اذن ــ كان عبد الناصر يتخيل احالته الى المعـاش ؟ ان احترام عقل الجمهور كان ممكنا أن يجنب عبد الناصر كل التعليقات الساخرة التى ثارت عند سـماع المشاهدين تلك العبارة ، ولكن العبارة نكأت دمل دكتاتورية الثورة ، وكشفت ممارساتها نحو الخصوم السياسـيين وضـد كل من كان يعترض طريق عبد النـاصر أو يشكل منافسة له عند الجماهير .

فلقد كان أمام عبد الناصر فرصـة حقيقية لاحالة نفسـه الى المعاش بعد هزيمة يونيه ١٩٦٧ وتنفيذ رحلته الترفيهية من عناء الحكم مع قرينته ومع أولاده ، ولكن بعد مسرحية خطاب الاستفتاء الشهير عاد عبد الناصر الى الحكم أكثر قوة ! وبدلا من أن يحيل نفسه الى المعاش ، أحال خصمه الأساسى ومنافسه الأوحد ، وهو المشير عبد الحكيم عامر الى الدار الآخرة !

ويروى السيد أمين هويدى الذى كان يشغل منصب وزير الحربيـة فى ذلك الحين ، كيف عمل عبد الناصر على اعتقـال المشير عبد الحكيم عامر ووضعه تحت تصرفه حتى تم اغتيـاله بطريقة خفية فى استراحة المريوطية التى نقل اليها بأمر عبد الناصر المباشر يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ ، ليلقى حتفه فى اليوم التـالى مبـاشرة !

ووفقـا لرواية السـيد أمين هويدى ، فقد بدأت عمليـة اعتقـال المشـير عندما أصـدر الرئيس جمـال عبد النـاصر تعليماته الى كل من شعراوى جمعة وزير الداخلية وسامى شرف سكرتير الرئيس للمعلومات وأمين هويدى وزير الحربيـة بوضع خطة لتحديد اقامة المشير ، ولكن هذه الخطة لم تكن خطـة سهلة ، بل كانت ذات حساسـية بالغـة ، نظرا لأن كثيرا من الأجهزة مثل القوات المسلحة والمخابرات العامة ــ وفقا لكلام أمين هويدى ــ كانت « متعاطفة تماما مع المشير » •

وقد أطلق على عملية اعتقال المشير عامر اسـما كوديا هو « عملية جونسـون » ! وجرت الاجتماعات لتخطيطهـا ليلا فى « نادى الشمس » بمصر الجديدة ، وقد استبدلت بها خطة أخرى بنفس الاسـم حتى يمـكن تنفيذها قبل عقد مؤتمر الخرطوم « مؤتمر اللاءات » فى يوم ٢٩ اغسطس ١٩٦٧ « خشية قيـام الجيش بانقلاب أثناء وجود عبد الناصر فى الخرطوم ! » •

وكانت الخطة على النحو الآتى : يستدعى المشير الى منزل الرئيس فى منشية البكرى ليلا ، لأى سبب يراه الرئيس • وفى نفس الوقت تتجه قوة من القوات المسلحة الى منزل المشـير بالجيزة لحصاره والقبض على من فيه ، على أن يتم ذلك قبل أول ضـوء فى اليوم التالى • ثم تحدد اقامة المشير فى منزله

بالجيزة مؤقتا الى حين نقله الى مكان أمين • ثم تبدأ عملية أخرى في اليوم التالى لعملية اعتقال المشير للسيطرة على جهاز المخابرات العامة ، الذى ظهر أن رئيسه « صلاح نصر » وبعض قادته الى جانب المشير !

ويقول أمين هويدى ، وقد تولى رئاسة المخابرات بعد صلاح نصر ، ان الرئيس جمال عبد الناصر وافق على خطة « عملية جونسون » وحدد موعد اللقاء مع المشير فى الساعة السابعة يوم ٢٥ أغسطس ١٩٦٧ ، وأنه هو الذى اتصل بنفسه بالمشير عامر يوم ٢٤ أغسطس ١٩٦٧ ودعاه للاجتماع فى المنزل ! •

وقد وافق المشير على الدعوة مرحبا حيث كان فى انتظاره فريق الاعتقال المكون من شعراوى جمعة وأمين هويدى والفريق محمد فوزى وسامى شرف ومحمد صادق مدير المخابرات الحربية وسعد عبد الكريم قائد الشرطة العسكرية • وكان الرئيس عبد الناصر قد قرر أن يحضر واقعة اعتقال المشير فى بيته كل من زكريا محيى الدين وحسين الشافعى وأنور السادات!

ويقول أمين هويدى انه سمع بأذنيه الحوار الذى دار بين عبد الناصر والمشير عامر بحضور السادات وحسين الشافعى وزكريا محيى الدين • فلم يكد المشير يسمع عبد الناصر ينصحه بأن يلزم بيته ، حتى صاح فيه : « يعنى بتحدد اقامتى وبتحطنى

تحت التحفظ ؟ قطع لسانك ! » . وكان المشير ثابت الجنان ولم يضعف ! .

والمهم هو انه بعد عودة عبد الناصر من مؤتمر الخرطوم ، وبعد أقل من شهر واحد ــ أى فى يوم ١٣ سبتمبر ١٩٦٧ ــ كان عبد الناصر يأمر بنقل المشير عامر من منزله الى استراحة المريوطيــة ، حيث جرى الاجهــاز عليــه فى اليــوم التــالى مباشرة ــ أى يوم ١٤ سبتمبر ــ وأعلن للجمهور المصرى ان المشير انتحر !

وفى هذا الضوء فان دراســة شخصية عبد الناصر كانت تقتضى من مؤلف ومنتجى فيلم ناصر ٥٦ تقديم صورة تقترب من الواقع بدلا من اللجوء الى هــذا الأسلوب الساذج ومحــاولة خدمة الرجل عن طريق تصويره فى صورة من يصبو الى الاحالة الى المعاش لكى يستريح من عناء الحكم ! وهى الصــورة التى قلبت المواجع ، وذكرت المشاهدين بالصورة الحقيقية التى لم تكن خافية عن الشــعب المصرى أبدا ، صــورة عبد الناصر الزعيم الدكتاتور الذى يحكم بالحديد والنــار ولا يفرط فى منصب رئيس الجمهورية حتى لو أنزل بالبلاد كارثة مثل كارثة هزيمة يونية ١٩٦٧ !

***

- ٢ (*) -

لعلى آخر من يعترض على تجاوزات الأفلام التاريخية للحقائق التاريخية ، بعد ما سمعته بأذنى من الروائى الايطالى الكبير ألبرتو مورافيا من حق الروائى فى أن يحرف فى الأحداث التاريخية كما يشاء اذا اقتضت ذلك الحبكة الفنية .

ومن هنا فان ما أكتبه هنا عن فيلم : « ناصر ١٩٥٦ » ليس نقدا للفيلم بقدر ما هو تصحيح للوقائع التاريخية التى اشتمل عليها ، حتى لا تقع الجماهير فريسة لصورة تجميلية للشخصية التاريخية التى يدور حولها الفيلم ، أملتها عادة عبادة الأبطال ، التى تسود المجتمعات النامية ، والتى كانت ضرورة فى وقت نضالها من أجل الحرية ، ثم فقدت مبرر وجودها فى المراحل التالية التى تتطلب مراجعة للنفس واعادة تقييم الماضى بشخوصه وأحداثه .

(*) الوفد الموافق الاثنين ٢١/٨/١٩٩٥ .

وبداية فان الفيلم من الناحية الفنية يعد عملا طيبا يحسب لقطاع الانتـاج باتحـاد الاذاعة والتليفزيون ورئيسه ممدوح الليثى ، تألق فيه الممثل الكبير أحمـد زكى وأضـاف به الى رصيده الفنى الزاخر الشيء الكثير ، كما أخرجه باقتدار مخرج من أكبر مخرجينـا وهو محمد فاضـل ، وألف قصته مؤلف عاشق للتاريخ وهو محفوظ عبد الرحمن ، واجتمعت فيه كفاءات فنية هامة مثل مهنـدس الديكور نبيل سليم ، الذى أعاد لنا ميـدان المنشية بالاسـكندرية الى الوجود بعد أن هدمت يد التخريب والفوضى مبنى تاريخيـا هاما هو مبنى البورصـة ، بدلا من تجديده كما تفعل الدول المتمدنة فى العصر الحاضر !

والفيلم يعد خطبة بليغة وحماسيه عن أحداث تأميم قناة السويس ، كان لها ما يبررها فى حينها ولكنهـا أصبحت قابلة للمراجعـة بعد انتهاء ظروفها وظهور الحقـائق حولها . وقد جعلنا المؤلف والمخرج نعيش الأحداث كما رأتها الجماهير عند وقوعهـا وليس كما اتضحت حقائقها فيما بعد ! وهو نوع من أنواع تغييب الوعى يعد رجعة الى الوراء بعد مرحلة « عودة الوعى » !

فمن الأفضل للجماهير دائما أن تعرف أبطالها كبشر يخطئون ويصيبون ، وليسوا كملائكة فوق مستوى البشر ! وهو ما فعله

الفيلم ، الذى صـــور عبد الناصر فى صورة انسانية رقيقة لم تعرفها ممارساته السياسية مع خصومه السياسيين !

وعلى سبيل المثال فان معاملته للواء محمد نجيب ، أول رئيس للجمهورية فى مصر ، لم تتســـم بشيء من الانسانيــة ، فلم يكن محمد نجيب مما يخشى خطره بعد انقلاب الضـــباط عليه ! ولم تكن وراءه جماهير يعتمد عليها فى العودة الى الحكم، وكان من الممكن أن يقدر عبد الناصر دوره فى نجـــاح الثورة ، ويعرف انه بدون قيـــادة محمد نجيب للثورة كان مستحيـــلا نجاحهـــا ، وبالتـــالى يعامله معاملة كريمـــة كما فعل الرئيس زين العابدين فى تونس مع الرئيس السابق حبيب بورقيبـــة ، ولكنه نكل به تنكيلا بدون أى مبرر ، وشرد أبناءه واعتقلهم ، وانتهى الأمر بأحد أبنائه الى العمل كسائق تاكسى ! وكل ذلك اهانة لتاريخ مصر واهانة لمصر !

كذلك كان عبد الناصر يعرف ما يدور فى معتقلاته وسجونه من ارهاب وتعذيب لمخالفيه فى الرأى من اليساريين ممن لم يحملوا ضـــده سلاحا ، بل كانوا يؤيدون خطواته ويباركونها ولكنهم يختلفون معه فى الوسيلة . ومع ذلك لم يتدخل لمنع هذا التعذيب ، وسمح للجـــلادين أن يقتلوا شهدى عطية الشافعى فى المعتقل ضربا بالهراوات !

كذلك كان تعامله مع مشيعى جنازة مصطفى النحاس تعاملا قاسيا لا يرحم ، ولم يقدر أبدا مغزى خروج المصريين لتشييع جنازة الزعيم الذى قاد نضالهم على مدى ربع قرن ، وارتباطه بأصالة المصريين ووفائهم للرجل فى أصعب الظروف ، فعاقبهم بدون مبرر بعد أن ووري جسد الزعيم التراب .

ومن هنا فان الصورة الانسانية الرقيقة التى رسمها الفيلم كانت تحوى من الرومانسية ما يتجاهل الواقع ، الذى قد يكون فرض نفسه على عبد الناصر ، أو اختاره طواعية ، ولكنه يجب أن يكون مستقرا فى ضمير الجماهير عندما تحكم على الزعيم .

ولم يكتف الفيلم برسم صور رومانسية لعبد الناصر ، بل بالغ فيها الى حد يدعو الى الرثاء ! ومن ذلك ما ذكرناه من حوار فى الفيلم بين عبد الناصر والسيدة قرينته أبدى فيه عبد الناصر أمنيته فى أنه « بعد احالته الى المعاش » ! وبعد أن يكبر الأولاد سيصحب قرينته الى الخارج لتجوب معه العالم !

وهذا الكلام فيه استهانة بعقل المشاهدين ، لأن عبد الناصر لم يكن موظفا فى الحكومة ممن يحالون الى المعاش ، وانما كان رئيس دولة استولى على الحكم بالقوة ، وطرد ملك البلاد ، ثم طرد رئيس الجمهورية الذى خلفه فى رئاسة الدولة ، وصفى

الأحزاب القديمة وصادر ممتلكاتها ، وحدد اقامة زعيم الأمة الذى قاد نضالها على مدى ربع قرن فى بيته ، وزج بخصومه السياسيين فى المعتقلات والسجون وعلى رأسهم سكرتير عام الوفد فؤاد سراج الدين ، ونصب لهم محاكمات صورية ظالمة ، واستند فى حكمه الى قوة الجيش !

هذا على كل حال فيما يتصل بالجانب الشخصى فى حياة عبد الناصر الذى رسمه الفيلم ــ كما قلت ــ فى شاعرية بعيدة عن الواقع • أما الجانب السياسى المتصل بتأميم شركة قناة السويس ، فلم يستطع الفيلم أن يخفى حقيقة أن فكرة تأميم الشركة وتنفيذها كان عملا فرديا محضا هو عمل عبد الناصر وحده ، دون أى شريك من حكومة أو غيرها •

وهو ما ليس له مثيل فى أى نظام سياسى ، خصوصا فى قرارات خطيرة يمكن أن تعرض مستقبل البلاد للخطر مثل تأميم شركة قناة السويس ، فقد ألغى عبد الناصر الحكومة المصرية من حسابه تماما كما لو كانت حكومة دولة أخرى ! ولم نشهد وزيرا استدعاه عبد الناصر للمشاورة معه فى الفكرة ، ولم نشهد اجتماعا لمجلس الوزراء لطرح الفكرة عليه ودراستها •

وفى الحقيقة أن حكومة مصر لم تعرف بقرار تأميم شركة قناة السويس الا قبل اعلان عبد الناصر عنه فى خطبته

بالاسكندرية بساعتين فقط ! ولم يكن اجتماعا للحكومة كلها وانما كان اجتماعا لعدد محدود ! كما أنه لم يكن اجتماعا لأخذ الرأى وانما للاحاطة ! فقد قال عبد الناصر فى اقتضاب : « انى دعوتكم لكى أبلغكم بقرار سوف أعلنه فى خطابى الليلة ، هذا القرار هو تأميم قناة السويس »!

أما الجيش ، فقد أخفى عنه عبد الناصر الخبر أيضا ! فقد كان يعرف باعتراض عبد الحكيم عامر على فكرة التأميم ! وعلى حد قول عبداللطيف البغدادى فان عبد الناصر اتصل بعبد الحكيم عامر الذى كان بالاسكندرية ، وأبلغه « بالاتجاه » الى تأميم القناة ، ولكنه ـ أى عبد الحكيم ـ كان يرى « أن نعمل بالضغط على الشركة حتى نزيد من نسبة حصتنا من دخلها السنوى » . ولكن « لم يكن لدينا الوسيلة لارغامها على تنفيذ ما يقترحه ، كما أن ردها على ذلك كان معلوما لدينا من العام الماضى » .

لذلك أبقى عبد الناصر خبر قراره بتأميم شركة القناة خافيا عن عبد الحكيم عامر حتى اللحظة الأخيرة ! فقد أبلغه عبد الناصر به وهما فى طريقهما الى الاسكندرية بالقطار لكى يلقى عبد الناصر خطبة التأميم ! ويروى صلاح نصر أن المشير عامر قال لعبد الناصر انه كان ينبغى عليه أن يبلغه أولا قبل اتخاذ

هذا القرار السياسى ، لأنه قائد عام القوات المسلحة ، « وينبغى أن تستشيرنى لتعرف ما إذا كانت القوات المسلحة قادرة على حماية هذا القرار » ! وقد ثبت فيما بعد أن القوات المسلحة المصرية لم تكن قادرة على حماية القرار كما سنرى .

بل من الغريب أن المهندس محمود يونس ، الذى كلفه عبد الناصر بمسئولية الاستيلاء على منشآت شركة القناة والعمل على ادارتها بعد اعلان قرار التأميم ، لم يعرف بقرار عبدالناصر الا يوم ٢٤ يوليو ١٩٥٦ — أى قبل اعلان عبد الناصر قراره بيومين فقط . ولولا كفاءة محمود يونس وزملائه لما أمكن لهم أداء ذلك العمل الهائل فى يومين فقط !

وفى الوقت نفسه لم يعد مشروع قانون التأميم الا يوم ٢٥ يوليو ، أى قبل اعلانه بيوم واحد ، ولم تكن الحكومة تعلم به ! وعلى حد قول البغدادى : « لم يكن الوزراء المدنيون يعلمون بهذا القرار الا بعد ظهر يوم ٢٦ يوليو بعد أن وصلنا الى الاسكندرية . وقد علموا به بعد أن استدعاهم جمال الى منزله ، وقبل أن نتوجه منه مباشرة الى ميدان المنشية الذى كان جمال سيلقى منه خطابه » !

وقد اختار عبد الناصر أن يعلن القرار فى شكل تحد للغرب وليس فى شكل أنه حق من حقوق مصر المطلقة . فأتاح بذلك

للغرب الرد عليه بالطريقة التى يملكها وهى الحرب ! وكان فتحى رضوان ، رغم انه من غلاة الحزب الوطنى القديم الداعين الى التأميم ، هو الذى نبه عبد الناصر الى ذلك عندما سمع به يبلغ الوزراء بهذا القرار الخطير • فقد قال له :

« أنا فاهم من كلام سيادتك لنا ، أنك تنوى أن تقول انك أممت قناة السويس ردا على كلام دالاس واهانته لنا ، واعتدائه على سمعة اقتصادنا •• ان ربط الأمرين معا له معنيان ، وكلاهما سيء ، فاعلاننا بأننا أممنا شركة قناة السويس لأن دول الغرب سحبت تمويلها للسد العالى ، فيه اضعاف لحقنا فى التأميم ، فقناة السويس مرفق مصرى ، وشركة قناة السويس هى شركة مصرية ، وخاضعة للقانون المصرى ، وعلى ذلك فحقنا فى تأميم الشركة واخضاع المرفق للادارة المصرية المباشرة ، انما هى من حقوقنا المطلقة • أما تصريحنا بأننا نؤمم قناة السويس ردا على أمريكا وانجلترا وفرنسا ، فمعناه أننا نتخذ من قناة السويس ، التى تخدم الملاحة والتجارة الدولية ، وسيلة لعقاب وتأديب الدول التى نختلف معها ! وهذا يتيح لدول الأعداء أن يتخذوا من هذا الاعلان مادة للتشهير بنا ، وتخويف العالم من ادارتنا لقناة السويس التى تتأثر بنوازعنا ، وربما بنزواتنا القومية » !

ويقول فتحى رضوان انه عند هذا الحد كان صبر عبد الناصر قد نفد ! وخيل اليه أننى أريد أن أملى عليه اتجاها

معينا ، فقام وهو يلوح بذراعيه مسرعا تجاه دورة المياه وهو يقول : « أنا عارف ماذا سأقول » !

على هذا النحو كان قرار تأميم شركة قناة السويس عملا فرديا بحتا اتخذه رئيس الدولة على مسئوليته الخاصة ، دون أن تعلم به حكومته ، ودون أن يعلم به قائد عام الجيش ، ودون أن يعلم به المنفذون الا قبل يومين فقط ، ودون أى استعداد عسكرى لمواجهة أى عدوان على الأراضى ، بكل ما يمثله ذلك من خطر الغاء استقلال مصر ، وعودتها الى الاحتلال البريطانى الذى كانت قد تخلصت منه قبل سنة واحدة فقط بنضال شعبى مرير استمر سبعين عاما !

***

- ٣ (*) -

قلت فى مقالى السابق ان فيلم « ناصر ١٩٥٦ » يعد خطبة حماسية بليغة رسمت صورة تجميلية للرئيس الراحل عبد الناصر من جهة ، كما رسمت صورة تجميلية للحدث من جهة أخرى ! فلم يشاهد المتفرج منه الا عملية اتخاذ القرار ، الذى رأينا أنه كان قرارا فرديا اتخذه رئيس الدولة دون أن يشرك فيه حكومته أو قائد عام جيشه ، ثم انقطع الفيلم فجأة عندما بدأت مصر تدفع ثمن القرار ! ، فقد انتهى بمشهد عبد الناصر وهو يصعد الى سطح بيته ليرى طائرات انجلترا تغير على مصر !

وأهمية هذا المشهد أنه يوضح أن جميع حسابات عبد الناصر التى بنى عليها اعلان قرار تأميم شركة قناة السويس كانت خاطئة . وهى الحسابات التى جعلته يهمل استشارة حكومته ، كما جعلته يخفى خبر القرار عن قائد عام جيشه !

(*) الوفد المراهق الاثنين ١٩٩٥/٨/٢٨

ففى ذلك الحين كان تقدير عبد الناصر للموقف المترتب على اعــلانه قرار تأميم شركة قناة الســويس ، يستبعد تماما استخــدام الغرب للقوة معه وشـــنه حربــا على مصر . فقد اســتبعد قيــــام فرنســا بشــن حرب ضـــده تحت وهم انشغالها بمعركتها فى الجزائر ، واستبعد قيام انجلترا بحرب ضد مصر ، متصــورا أن حرصها على مصالحها فى العــالم العربى سوف يمنعها من القيام بأى اعتداء ، أما الولايات المتحدة فقد رأى أنه ليست لها مصلحة فى قيام مثل هذه الحرب !

أما اسرائيل ، فقد استبعد اشتراكها فى عمليــة عسكرية ضد مصر أيضا ! والطريف أنه اعتمد فى هذا الاعتقاد على أن انجلترا هى التى سوف تمنعها من العدوان ! وفى ذلك يذكر محمد حسنين هيــكل أنه عندما تعرض عبد الناصر لاحتــال اشتراك اسرائيل ، انتهى الى استبعاده على أساس أن « ايدن لن يقبل ! وأن اسرائيل قد تحاول ولكن ايدن لن يقبل » !

والأغرب من ذلك أن عبد الناصر ظل على هذا الاعتقــاد حتى بعد أن بدأت اسرائيل هجومهــا على مصر بعد ظهر يوم الاثنين ٢٩ أكتوبر ١٩٥٦ ! فقد افترض أن اسرائيــل تســتغل الموقف لتحقيق هدف عــدوانى معين ! بل انه استبعد أيضــا اشتراك فرنسا وانجلترا فى عدوان على مصر حتى بعد أن أصدرت الدولتان انذارهما الشهير الذى يطالب الفريقين المتحاربين ـــ

مصر واسرائيل ــ بايقاف القتال وسحب قواتهما بعيدا عن قناة السويس بمسافة عشرة أميال على كل من جانبها ، متوهما أن غرضهما اعطاء اسرائيل حق احتلال سيناء من أول غزة حتى عشرة أميال من الضفة الشرقية للقناة !

فعند مناقشة هذا الانذار فى مجلس الوزراء ، لاحظ عبد اللطيف البغدادى أن عبد الناصر لم يأخذه مأخذ الجد ! فقد كان يعتقد أن الغرض منه أن تحتفظ مصر بالجزء الأكبر من قواتها دون تحريكها الى أرض المعركة فى سيناء ، لكى تعطى الدولتان لاسرائيل الفرصة لتحقيق النصر !

بل انه فى اليوم التالى للانذار ــ الاربعاء ٣١ اكتوبر سنة ١٩٥٦ ــ ظل عبد الناصر على رأيه فى استبعاد تدخل انجلترا وفرنسا بقواتهما العسكرية ! فيقول عبد اللطيف البغدادى انه ذهب الى القيادة العسكرية ، ثم حضر زكريا محيى الدين وكمال الدين حسين وجمال عبد الناصر ، وأخذوا فى بحث الموقف العسكرى ، وعندما أبدوا تخوفهم من احتمال انزال الانجليز والفرنسيين لقواتهما فى منطقة القناة وعزل القوات المصرية الموجودة فى سيناء ، استبعد جمال عبد الناصر هذا الاحتمال !

وفى الواقع أنه لم يقتنع الا بعد أن قام سلاح الطيران البريطانى بغارته على القاهرة فى السابعة مساء ٣١ أكتوبر ،

والا بعد أن تبين من المعارك الجوية فى سماء سيناء أن عدد طائرات الميستير الفرنسية المشتركة فى المعركة كان أكبر بكثير مما لدى السلاح الجوى الاسرائيلى .

وهذا يدل على مدى سوء تقدير عبد الناصر لردود فعل الغرب واسرائيل لقرار تأميم قناة السويس . فلم يصدق اشتراك اسرائيل الا بعد أن أصبحت قواتها فى قلب سيناء ! ولم يصدق اشتراك انجلترا الا بعد أن أصبح سلاح طيرانها فوق القاهرة ، ولم يصدق اشتراك فرنسا الا بعد أن أصبحت طائرات الميستير الفرنسية فوق سيناء !

ومعنى ذلك أن قرار تأميم شركة قناة السويس قد أقيم على حسابات خاطئة من صاحب القرار ، ولم يقم على حسابات صحيحة . ويرجع ذلك لانفراد عبد الناصر باتخاذ القرار .

وخطورة هذا القرار لا ترجع الى اتخاذه ، فقد كان الهدف وطنيا من الدرجة الأولى ، وانما ترجع الى أن عبد الناصر اتخذه ومصر غير مستعدة للحرب ، وهو ما يعرض استقلالها للخطر ، ويعيد مصر مرة أخرى الى الاحتلال البريطانى مضافا اليه الاحتلال الفرنسى والاحتلال الاسرائيلى !

فلم يكن عمر التسليح الحديث للجيش المصرى ، عندما اتخذ عبد الناصر قراره بتأميم شركة قناة السويس ، يزيد على

تسعة أشهر فقط ! ولم يكن قد تم استيعابه استيعابا كاملا . وفى الوقت نفسه ، وبسبب استبعاد عبد الناصر قيام اسرائيل بعملية عسكرية فى سيناء ، تم سحب القوات المصرية من سيناء (حوالى ٣٠ ألفا) لتعزيز دفاعات القناة ومداخل القاهرة والاسكندرية ، ولمنع اعاقة الملاحة الدولية بما يعطى فرصة للتدخل العسكرى ضد مصر !

وهكذا أدى سوء تقدير عبد الناصر للموقف الى أنه عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثى ، كانت أبعد ما تكون عن الاستعداد لهذا العدوان ، لا من حيث التسليح ، ولا من حيث حشد ما لديها من امكانات عسكرية فى المواطن التى يأتى منها الخطر ـ أى على الحدود المصرية الاسرائيلية أو فى قلب سيناء . ومن هنا كان الثمن الذى دفعته مصر فادحا !

فعلى الرغم من الشحنات الروسية ، الا أن كل ما كان يستخدمه الجيش من الدبابات لم يكن يزيد على خمسين دبابة من بين مائتى دبابة روسية جديدة ! ومن بين مائة طائرة من طراز ميج ، لم يكن معدا للتشغيل غير حوالى ثلاثين طائرة ! أما القاذفات الأليوشن ، فقد كان المستخدم منها اثنتا عشرة طائرة من بين خمسين قاذفة ! وكان معظم الطيارين وأطقم الدبابات ما يزالون فى الاتحاد السوفيتى يتدربون على استخدامها فى مدارس التدريب !

ومن هنا كان سلاح الطيران المصرى الجديد هدفا أكيدا لطائرات « الكانبيرا » البريطانيــة ، فلم ينج من الثلاثين طائرة الآليوشن ، التى نجحت فى الفرار الى الاقصر ، سوى أثنتى عشرة طائرة تمكنت من مواصلة الطيران الى السعودية . أما الثمانى عشرة طائرة الأخرى ، فقد هاجمتها ودمرتها غارات جوية بريطانية أخرى على مصر العليا . وكانت ســماء مصر مستباحة طوال أيام التدخل العســكرى البريطــانى الفرنسى ، وقد اشــتدت بالذات على القاهرة يوم السبت ٣ نوفمبر ١٩٥٦ .

والغريب أن عبد الناصر كان هو الوحيد فى العالم اجمع الذى كان يستبعد الحرب كرد فعل لقرار تاميم قناة السويس ! فيقول هيكل انه عندما ابلغ الوزراء بالنبأ ، اضطرب الكثيرون منهم من خطر ما هو مقدم عليه ، وآثار أحد الوزراء احتمال استخدام بريطانيــا لاسرائيل فى شن غارة على مصر ، وكان جوابه إن ذلك صعب ، لأن من شأنه القضــاء على مركز بريطانيا فى الشرق الأوسط ! وقد ســئل كذلك عن احتمال التدخل الفرنسى ، وكان جوابه ان الفرنسيين منشغلون تماما فى الجزائر ، وأنه اذا كان البريطانيون فى حاجة الى شهرين لاعداد الغزو ، فان ذلك يعنى أن الفرنسيين يحتاجون الى المهلة ذاتهــا . وعلى ذلك ترك الوزراء الأمر كله لعبد الناصر .

وواضح أن الجميع كانوا يدركون حجم الخطر المترتب على

تاميم شركة القناة ، ولكنهم كانوا يدركون عجزهم عن تغيير هذا القرار . فكما يقول سيد مرعى : « دوى الخبر فى قاعه الاجتماع كانتر من قنبله ، بدأ بعده صمتنا جميعا مهيبا ومسيطرا ، والتفت الى جمال عبد الناصر وسألنى : انت مبلم ليه يا سـيد ؟ فى تلك اللحظه لم يفتح الله على برد سوى تلك الكلمات : « يا سياده الرئيس ، ان القرار الذى اتخذته هو حلم كل مصرى ، ولكن هذا القرار معناه فى نفس الوقت أننا سندخل فى حرب مباشره مع بريطانيا وفرنسـا والغرب كله » . وتأمل الرئيس جمـال عبد الناصر لحظة ، متجولا بعينيه بين عبد الحكيم عامر وبينى ، ثم رد على الفور قائلا : « أنا ما طلبتش منك أنك تحـارب ، لو حصلت حرب ، فاللى حايحارب هو عبد الحـكيم عامر ، مش أنت » !

بل ان الدكتور مصطفى الحفنـاوى ، الذى طالب بتأميم قناة السويس منذ نوفمبر ١٩٥٢ فى محاضرة ألقاها بنادى ضباط الجيش ، أصيب بالهلع عندما استدعاه عبد الناصر يوم ٢٤ يوليو من عزبته قريبـا من الاسكندرية ، ليصارحه بفكرته ويطلب منه المساهمة فى اعداد مشروع التأميم ، فقد طلب من عبد النـاصر تأجيل التنفيذ عدة أشهر لتهيئة الرأى العام ، قائلا له : « انى أكاد أسمع بأذنى أزيز الطائرات التى ستهجم علينا » !

لقد كان واضحا للجميع ـ فيما عدا عبد الناصر ! ـ أن

قرار التأميم معنـاه الحرب • ولذلك عندما عرف نهرو بتأميم عبد الناصر لشركة القناة ، فوجيء ـ كما يقول هيكل ـ وظهر ذعره من خـلال رسـالة بعث بها الى عبد النـاصر ، وكانت الرسالة عبارة عن نصفين : فى النصف الأول قال نهرو ما معناه : لمـاذا فعلت ذلك ؟ وفى النصف الثانى قال ما معناه : مالذى يمكن أن تفعله بعد ذلك ؟ • ثم بدأ نهرو يتحرك بسرعة من أجل عبد الناصر •

وعلى ذلك فان الصورة التى رسمها فيلم « ناصر ١٩٥٦ » لعبد الناصر وهو يتخذ قرار تأميم شركة قنـاة السويس كانت صورة مزيفة ! لقد رسمها لبطل يستوعب كافة جوانب القرار المصيرى الذى اتخذه ، ويفرضـه على العالم ! وأغفل الجانب السلبى لرئيس دولة يتخذ أخطر القرارات منفردا معتمدا على حساباته الخاطئـة ، فيعرض مسـتقبل أمته للخطـر • وهو ما حـدث تماما ، فلم تخسر مصر جيشـها فقط ، بل أعطى القرار لدولة صغـيرة مثل اسرائيـل الفرصـة لاحتـلال جزء من أرض مصر ، وهو ما لم تكن تحـلم به فى حياتهـا ، وخلق من ذلك القزم الذى كانت مصر تحـاصره وتمنـع استخدامـه ممراتها المـائية فى قناة السويس ومضايق تيران ، ماردا كبيرا احتل أراضى ثلاث بلاد عربية ، وجثم على صدر الأمة العربية !

***

- ٤ (*) -

تبين لنا من المقالين السابقين كيف أن حسابات عبد الناصر وهو يتخذ قرار تأميم شركة قنـاة السويس كانت خاطئة تماما ، ومع ذلك تحمل مسئولية اتخاذ هذا القرار على عاتقه وأخفاه عن حكومته وقائد جيشه ! لقد كان التقدير السليم للأمور يتطلب من عبد الناصر أن يعرف أن كلا من انجلترا وفرنسا لن تسمحا بمرور قرار تأميم شركة قناة السويس دون عقاب ، لأن ذلك يعنى تشجيع كل دولة صغيرة على الوقوف فى وجـه كل دولة تمارس عليها السيطرة الامبريالية ، ومعناه أن يصبح من حق كل دولة صغيرة أن تسيطر على مواردها ومصـادر ثرواتها بقرار منفرد ، ومعناه كذلك أن تسيطر كل دولة صغيرة على مواقعها الاستراتيجية التى تخصها مهما كانت ذات صفة عالمية ، ومعناه أيضا قيام ثورة عالمية ضـد الاستعمار فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية . وهو ما حـدث بالفعل عندما فشلت كل من انجلترا

(★) الوفد الموافق الاثنين ١٩٩٥/٩/٤ .

وفرنسا فى عملياتهما العسكرية بسبب الظروف العالمية التى أنهدت مصر ـ وسوف تتعرض لها فى حينها .

أما بالنسبه لاسرائيل ، فلم يستطع عبد الناصر أن يدرك الوضع اليائس الذى كانت تعانيه بسبب الحصار المصرى المفروض عليها فى البحر الاحمر ، والذى كان يدفعها الى المغامره باى شىء فى سبيل انهاء هذا الحصار ، لان هذا الحصار كان يحرمها من الاستفادة بمزايا موقعها على بحرين ، ويقطع الصله بينها وبين الدول الاسيوية والافريقية ، ويقطع الواردات عنها عموما ، والبترول الايرانى خصوصا ، ويجبرها على شراء حاجتها من البترول من الأسواق البعيدة بأسعار عالية ، كما يمنع اسرائيل من اقامه علاقات اقتصاديه قوية مع الدول الافريقية على البحر الأحمر . ومن هنا فان دوافعها لدخول حرب ضد مصر كانت أقوى من خشيتها من دخول هذه الحرب ، علها تفوز برفع الحصار المصرى على الملاحة الاسرائيلية .

على كل حال فان مسئولية عبد الناصر عن قرار تأميم شركة قناة السويس لا تتمثل فقط فى أنه اتخذه منفردا دون أى شريك من الحكومة والجيش ، وانما تتمثل بالدرجة الأولى فى أنه اتخذه بينما كانت مصر غير مستعدة للحرب ، الأمر الذى جعل من معركة اسرائيل فى سيناء بمثابة نزهة ! فعندما شنت

اسرائيل هجومهـــا على مصر قبل غروب شمس يوم ٢٩ أكتوبر سنة ١٩٥٦ ، كانت سيناء شبه خالية من القوات المصرية ، اذ لم تزد القوات المصرية ، الموزعة فى منطقة الجبهة ، على القوات التى وضعت لتأمين الحدود ضـــد أية غارات عدوانية ! أما بقية القوات فقد سحبتها القيـــادة المصرية لتتمركز فى مداخل القاهرة والاسكندرية وعند القناة لحمايتها !

ولقد كانت الأهداف التى حددتها اسرائيل لعملياتهـــا فى الليلة الأولى من المعركة ، هى : ممر متلا ، والكونتلا ، ومحور نخل ـــ التمد ، والقسيمة . وقد استطاعت اسرائيـــل احتـــلال هذه المواقع بسهولة ، لسبب بسيط هو أنه لم تكن فيها وقت الهجوم قوات مصرية ذات أهمية !

وقد أبدى موشى ديان دهشته لسهولة اســـتيلاء القوات الاسرائيلية على المواقع المصرية . فقال : « لقد فوجىء الجيش المصرى تماما بعملياتنـــا ، على الرغم من الأنبـــاء المنشورة فى صحافة العالم قبل أيام عن تعبئة جنود الاحتياط فى اسرائيل ، واستعداداتنا للحرب ! فلم يقدر المصريين أن هذه الاستعدادات موجهة ضـــدهم ! » .

وعندما قررت القيادة المصرية مؤخرا دفع القوات المصرية الى سيناء لمواجهـــة القوات الاسرائيلية ، تبين عدم استعدادها !

فعندما أصــدرت أوامرها الى القوات الجوية المصرية بقصف مواقع العدو التى أنزلت عند ممر متلا ، تذرع رئيس أركان حرب القوات الجوية ، محمد صــدقى محمـــود ، بعدم توافر الوقود اللازم للقاذفات بمطـــار غرب القاهرة ، فاقترح البغدادى قيام القاذفات بمهمتها فى تلك الليلة بما تحمله من وقود بالفعل فى خزاناتها ، حتى يتم توافر الكميات المطلوبة فى الصباح !

وفى الوقت نفسه كان عبد الحكيم عامر يدير المعركة بحالة عصبية ــ كما لاحظ عبد اللطيف البغدادى ــ وكان يصـــدر الأوامر فى كل كبيرة وصغيرة ، وكان القادة فى الميدان لا يملكون التصرف فى كل صغيرة وكبيرة الا بعد الرجوع اليه ! كما كان يدفع بقوات كثيرة الى أرض المعركة دون مبرر واضح ، فلا يكاد يمر وقت دون سماع أخبار بتحقيق النصر حتى يقوم بدفع قوات جديدة الى سيناء !

وقد كان ذلك قبل أن تصدر كل من انجلترا وفرنسا بعد ظهر يوم ٣٠ أكتوبر ١٩٥٦ انذارهما الشهير ــ فى اطار مؤامرتهما مع اسرائيل ــ الذى يطالب الجـانبين المتحاربين بايقاف القتال وسحب قواتهما بعيدا عن قناة السويس بمسافة عشرة أميال ! فوصل بالأزمة الى ذروتها .

فلم يصـــدق عبد الناصر فى البداية جدية هـــذا الانذار

الذى يطلب من مصر الموافقة على احتلال قوات الدولتين مؤقتا بمدن القناة الثلاث ، متوهما أن الغرض منه احتجاز الجزء الأكبر من القوات المصرية غرب القناة دون تحريكها لمواجهة اسرائيل ، لتمكين اسرائيل من النصر . ومن هنا تقرر رفض الانذار وعدم قبوله ، واستمر عبد الحكيم عامر فى دفع القوات المصريـة الى سيناء بدرجة أكبر رغبة فى تحقيق نصر سريع على أسرائيـل قبل انتهاء مدة الانذار الثنائى وهى ١٢ ساعة .

وفى ذلك الحين جرت محاولات لاقناع عبد الناصر بجدية الانذار دون جدوى ، فوفقا لعبد اللطيف البغدادى ، فانه ذهب الى القيـادة العسـكرية فى صباح يوم ٣١ أكتوبر ، ثم حضر زكريا محيى الدين وكمـال الدين حسين وجمال عبد الناصر ، « وفى أثناء مراجعتنا لسير المعركة على الخرائط ، أبدينا تخوفنا من احتمال انزال الانجليز والفرنسيين لقواتهما فى منطقة القناة، بغرض عزل قواتنـا الموجودة فى سيناء . ولكن جمال عبد الناصر استبعد هـذا الاحتمال ، ولم يقتنع بهذا الرأى » !

على أن عبد الناصر لم يملك الا الاقتنـاع بعد أن أصبحت الطائرات البريطانية فوق القاهرة ! وفى ذلك يقول عبد اللطيف البغدادى : « عدنا عند الغروب الى القيـادة ، وحضر صـلاح سالم ، وأبلغنى أنه كان ذهب الى جمال عبد الناصر فى منزله ،

وأقنعه بالانسحاب من سيناء • ولكنى لم آخذ كلام صلاح مأخذ الجد ، لمعرفتى بموقف جمال من هذا الرأى فى ظهر نفس اليوم ، لأنه حتى تلك اللحظة كان لايزال يعتبر أن الانذار غير جدى !

« ثم حضر جمـال الساعة السابعة مساء • وبعد حضوره مباشرة أعلنت غارة جوية على القاهرة ، ثم تبين لنا أن الذى قام بتلك الغارة هو طائرات السلاح الجوى البريطـانى • كما كان قد تبين لنا أيضا من المعارك الجوية فى سـماء سيناء أن عدد طائرات الميستير المشتركة فى المعركة أكبر بكثير مما لدى السلاح الجوى الاسرائيلى • وكان التفسير الطبيعى لهذا هو أن سلاح الطيران الفرنسى مشترك هو الآخر فى هذه العمليات بسيناء » •

وقد كانت الخطوة المترتبة على اقتناع عبد الناصر بجدية الانذار البريطـانى الفرنسى ، هى ضرورة سحب الجيش المصرى كله من سـيناء ، وحتى من قطـاع غزة ورفح والعـريش وشرم الشيخ ، وهو ما حدث بالفعل ، وصـدر قرار الانسحاب الشامل من تلك المنطقة فى الساعة العاشرة والثلث من مسـاء يوم ٣١ أكتوبر ١٩٥٦ ، وبدأ عبد الحكيم عامر فى اصـدار أوامره بالتنفيذ •

على أن اقتناعَ الجميع بدخول انجلترا وفرنسا المعركة ـ وهو الذى جاء متأخرا كما رأينا ـ كان له وقع الصـدمة لدى

الجميع فى مبنى القيــادة العسكرية ، فقد أفاق الجميع على حجم الخطر ، الذى كان يدق أبوابهم منذ بداية اعلان تأميم قناة السويس ، دون جدوى !

وشــعر الجميع بالفزع عندما أسقطت بعض الطــائرات البريطانية المغيرة بعض المشاعل فوق منطقة السباق بمصر الجديدة لتضىء لها الأهداف العسكرية ، واعتقد بعض أفراد قوة الدفاع الجــوى الموجودين فى المنطقــة أنه تم انزال جنود المظــلات المعادية فى المنطقة ، وهى القريبة من مبنى القيادة العسكرية ومن منزل جمال عبد الناصر ، وتصــور بعض ضباط القيادة أن انزال هؤلاء الجنود كان بهدف اقتحــام مبنى القيادة ومنزل جمــال عبد الناصر للامساك بهما .

وقد صور عبد اللطيف البغدادى جو الفزع الذى أعقب وصول هذا النبأ بقوله :

« حدث على أثر سماع هذا الخبر ما لم أكن أتوقعــه من الانفعال والعصبية ! » . وتكلم عبد الحكيم قائلا : « اختفوا جميعــا واتركونى مع الجيش » ! واضطرب جمــال وفكر فى أولاده ، وطلب العمل على نقلهم فورا الى القنــاطر الخيرية ، ولكنه عاد بعد فترة وطلب نقلهم الى منزل وسط القــاهرة خوفا من كلام الناس حتى لا يقــال انه هرب أولاده وترك النــاس

معرضين للخطر . وأما صلاح سالم فانه كان يصر على قيامنا فورا بمغـادرة مبنى القيادة والاختفاء ! وطلب منا أن نذهب الى منزله لنناقش الموقف فى هدوء وبعيدا عن الخطر . وزكريا تكلم عن ثلاث شقق كان قد سبق تجهيزها لاستخدامهـا عند الطوارىء فى حـالة ما اذا اضطررنا الى العمل سرا تحت أى ظرف من الظروف .

« وبحث عبد النـاصر عن قـوات عسـكرية بالقـاهرة لاستخدامها فى التصدى لجنود المظلات الموهومين ، ولكنه تبين أن ليس هنـاك أى قوات بالقاهرة غير الكتيبة « ١٣ » المكلفة بحراسة منزل عبد الناصر !

كان دخول بريطانيا وفرنسا المعركة معناه أن فرصـة مصر فى الانتصـار قد أصبحت منعدمة ، وهو ما استقر فى يقين الجميع . ومن هنا كان السؤال الذى طرح فى ذلك الحين فى مبنى القيادة هو ــ وفقا لعبد اللطيف البغدادى ــ « هل نستمر فى المعركة ونتحمل نتائج التخريب والتدمير ، أو نجنب البلاد هذا الدمار والاستسلام ، والاختفاء لمقاومة هذا الاحتلال الذى سيفرض علينا ، وذلك عن طريق المقاومة السرية » ؟

« كان الاتجاه الغالب هو الاختفاء والقتال ، وأما جمال فكان مضطربا ، ولكنه لم يبد رأيه فورا ، ولم يظهر اتجاهه ! » .

***

- ٥ (*) -

المشكلة الحقيقية فى فيلم « ناصر ٥٦ » لا تكمن فى أنه يرسم صورة دعائية براقة لقرار تأميم شركة قناة السويس ، تحيط عبد الناصر بهالات البطولة والمجد ، بعيدة كل البعد عن الواقع ، وانما المشكلة هى أن هذه الصورة الزائفة هى الصورة التى سوف تبقى فى ذهن الجماهير المصرية مهما صدرت من كتب التاريخ التى تصحح هذه الصورة ! فالكلمة الجرداء من أية أصباغ لا تستطيع أن تقف أمام فن السينما بكاميراته وأضوائه وملابسه وديكوراته وألوانه . وهكذا تبقى الجماهير مغيبة وعيها دائما أبدا لا تعرف تاريخها الا مشوها أو مزوقا ! مع ما يعرفه الغرب جيدا من أن التاريخ الصحيح هو الذى يصنع وعيا قوميا صحيحاً !

فلقد رأينا من مقالاتنا السابقة كيف أن قرار تأميم قناة السويس قد اتخذ على غير ما تتخذ الدول قراراتها التاريخية

(*) الوفد الموافق ١٩٩٥/٩/١١ .

الصعبة التى يدفع أبناؤها ثمنهـا من حياتهم ومصـائرهم من حسابات • فقد اتخذه عبد الناصر على مسئوليته الخاصة ، دون أن يشرك معه حكومتـه أو جيشه ، وياليته اتخذه بنـاء على حسابات دقيقة صائبة ، وانما اتخذه بناء على حسابات وهميـة تفترض أن ردود فعل الغرب لن تصل الى حد الحرب ، وتستبعد كلية أى تواطؤ بين الغرب واسرائيـل ، فى الوقت الذى كانت مؤامرة العدوان الثلاثى تجرى حلقاتها بين لندن وباريس ! بل كانت حساباته تفترض أنه لو كان لاسرائيل ما يدفعها الى انتهاز الفرصة للعدوان على مصر ، فان بريطانيا لن تقبل بذلك ! وعلى حد قول الأستاذ محمد حسنين هيكل انه عندما تعرض عبد الناصر لاحتمال تورط اسرائيل فى الحرب ، انتهى الى استبعاده على أساس أن « ايدن لن يقبل ، وأن اسرائيل قد تحاول ولكن ايدن لن يقبل » !

والأسوأ من ذلك بكثير أنه عندما اتخذ عبد الناصر قرار التأميم لم تكن مصر مستعدة للحرب ! فلم يكن عمر التسـليح الحديث للجيش المصرى يزيد على تسعة أشهر ، ولم يكن قد تم استيعابه استيعابا كاملا • وفى الوقت نفسه فان القوات المصرية الموجودة فى سيناء تم سحبها لتعزيز دفاعات القنـاة ومداخل القاهرة والاسكندرية لمنع اعاقة الملاحة الدولية على نحو يعطى الغرب الفرصة للتدخل العسكرى •

وهكذا يمكن القول ــ دون كثير من المبالغة ــ أن الوضع العسكري فى مصر عندما اتخذ الغرب قراره بالهجوم على مصر . كان يشبه الوضع عندما اتخذت حكومة الديركتوار فى فرنسا قرار ارسال الجنرال بونابرت الى مصر فى عهد حكومة المماليك !

ولست أدرى هل كان هذا الوضع هو الذى ألهم بعض المفكرين وصف ضباط يوليو بوصف « المماليك الجدد » ! أو أن أسلوب ادارة مصر العشوائى والفردى ــ والذى يعتبر قرار تأميم شركة قناة السويس أنموذجا له ــ هو الذى ألهمهم هذا الوصف !

على كل حال ، فلم يقتنع عبد الناصر بوجود مؤامرة العدوان الثلاثى على مصر الا عندما قام سلاح الطيران البريطانى بغارته على القاهرة ، فى الوقت الذى كانت طائرات « الميستير » الفرنسية تقوم بعملياتها فى سيناء ، والا بعد أن كان الجيش الاسرائيلى يحتل ممر ميتلا والكونتلا ، ومحور نخل ــ التمد ، والقسيمة ! وعندئذ أفاق الجميع على حجم الخطر الذى كان يدق أبوابهم منذ اعلان قرار تأميم شركة قناة السويس دون أن يعيروه اهتماما ! وعندما أسقطت بعض الطائرات البريطانية المغيرة بعض المشاعل فوق منطقة السباق بمصر الجديدة ، وتصوروا أن جنود المظلات البريطانية قد أنزلوا

الى المنطقة لاختطاف عبد الناصر ، ساد الجميع الفزع ، وكان الاتجاه الغالب هو الاختفاء والقتال ، وأما جمال فقد كان ـ على حد قول عبد اللطيف البغدادى ـ مضطربا ، ولكنه لم يبد رأيه فورا ، ولم يظهر اتجاهه ! » •

على أن الموقف كان قد تغير تغيرا جذريا فى نظره ، فقد انقلب على موقفه السابق الذى كان يتصور أن الانذار البريطانى والفرنسى هدفه حجز الجانب الاكبر من القوات المصرية مجمدا فى الغرب دون تحريكه الى سيناء لمواجهة اسرائيل ، وطلب الى المشير عامر سحب الجيش المصرى كله من سيناء للدفاع عن القناة ، على أساس انه اذا انزل البريطانيون والفرنسيين دباباتهم فى بورسعيد ، فان الدبابات المصرية كلها ستعزل فى الصحراء • وكانت هذه القوات تتكون من فرقة فى غزة والعريش ، ولواء فى أبو عجيلة وأم كتاف •

على أن المشير عامر اعترض على هذا الرأى ، وظل فى مناقشة عاصفة مع عبد الناصر طول الليل ، مما أخر سحب الدبابات • ولكن رأى عبد الناصر انتصر ، وتم بالفعل اخلاء سيناء من القوات المصرية بعد أن صدر القرار بذلك فى الساعة العاشرة والثلث من مساء يوم ٣١ أكتوبر •

على أن خلافا آخر وقع بين المشير وعبد الناصر حول مكان

انسحاب القوات المصرية ، فقد كان تقدير المشير عامر أن تنسحب القوات الى الدلتا ، حيث القنوات والترع والخطوط الدفاعيـة والكثافة السكانية ، ولذلك أصدر أوامره بنقل مركز الرئاسة الى الزقازيق ، وأخذت الوحدات تتجه بالفعل الى الدلتا . على أن عبد الناصر اعترض على هـذه الخطة ، التى رأى أنها تترك القناة مكشـوفة بلا دفاع ، رغم أنها هى الهدف الرئيسى المحدد للقوات البريطانية والفرنسية ، التى حددت هدفها فى احتـلال مدن القناة الثلاث : بورسعيد والاسماعيلية والسويس .

وقد كان نتيجـة هذا الخـلاف ، الذى انتصر فيه رأى عبد النـاصر ، أن صـدرت الأوامر مرة أخرى للقوات التى انسحبت الى الدلتا ، للعودة من جديد الى منطقة قناة السويس لتعزيز دفاعـات بورسـعيد والاسماعيليـة ! الأمر الذى أدى بالضرورة الى مضاعفة الخسائر ، وهو ما شاهده عبد النـاصر بنفسه كما سوف نرى .

وكان الشعور بالهزيمة ثقيلا بعد ما تأكد من دخول كل من انجلترا وفرنسا المعركة ، وعلى حد قول عبد اللطيف البغدادى : « كان موقفا عصيبا حقا ، لأن نتيجة المعركة معروفة مسبقا ، ولأنه ليس من المعقول أن ننتصر عليهما وعلى ربيبتهما اسرائيل ، وكان السـؤال الذى يدور فى ذهن كل منا فى تلك اللحظة : هل نستمر فى المعركة ، ونتحمـل نتائج التخريب والتدمـير ،

أو نجنب البلاد هذا الدمار ، بالاستسلام والاختفاء لمقاومة هذا الاحتلال الذي سيفرض علينا ، وذلك عن طريق المقاومة السرية؟.

والطريف انه في تلك اللحظات تذكر عبد الناصر مجلس وزرائه ، وهو الذي راينا أنه تجاهله عندما اتخذ قرار تاميم قناة السويس وانتهى بابلاغه به قبل اعلانه . ولكنه كان مترددا ! فقد سأل عبد اللطيف البغدادي عما اذا كان من المستحسن دعوة مجلس الوزراء الى الاجتماع أم لا ؟ وقد أيد البغدادى فكرة الدعوة . وكان مجلس الوزراء عند حسن ظن عبد الناصر ، فقد تكلم جمال عن خطة العدو وأهدافه ، والأسباب الذى دعته الى سحب قواتنا من سيناء ، وقد استمع المجلس الى كل ذلك في سكون تام ! » على حد قول البغدادى ، أى دون أن ينطق أحد بتعليق واحد لا بالموافقة أو الرفض !

وفى تلك اللحظات الحاسمة انقسمت قيادة ثورة يوليو بين فكرة المقاومة وفكرة الاستسلام . وكانت القيادة العسكرية قد استقرت على الاستسلام ! فقد قابل المشير عامر عبد الناصر وصارحه بأن الاستمرار فى المعركة سيترتب عليه تدمير البلاد ، وقتل المدنيين ، وأن الشعب سيكره النظام ، والقائمين عليه ، وتفاديا لهذا التدمير فانه يفضل أن نطلب ايقاف القتال .

وقد فاجأ هذا القول عبد اللطيف البغدادى الذى اعترض قائلا انه اذا كان لابد من خسارة المعركة ، فلابد أن نخسرها

بشرف . ولكن خسـارة المعـركة بشرف كانت تتطلب ــ فى رأيه ــ الاستمرار فى المعركة حتى تسقط القاهرة ! « وبعدها تقدر موقفنا » ! أى بعد خراب مالطة !

وفى تلك الأثناء حضر صلاح سالم ليبدى رأيه بوجوب تجنيب البلاد ويلات التدمير والتخريب ، وليقترح على جمـال عبد الناصر أن يطلب وقف القتال ، والاستسلام ! وقد زاد على ذلك قوله : « ونقوم نسلم أنفسنا للسفير الانجليزى تريفيليان » !

على أن عبد الناصر كان قد استمد من الجماهير المصريـة قوة عندما ذهب الى الجـامع الأزهر ، وخطب فى المصلين ، وشرح لهم اهداف العدو وما كانوا ينوونه ، وأخبرهم أن سحب القوات المصريـة من سـيناء قد أفسـد خطتهم ، وأعرب عن الاصرار على القتال وسط حماس الجماهير .

لذلك رفض عبد الناصر خطة صلاح سالم فى الاستسلام ، واستحسـن الانتحـار على الاستســلام ! وطلب من زكريـا محيى الدين احضار عدد من زجاجات سم « سيانور البوتاسيوم » سريع المفعول ، تكفى العدد الموجود لاستخدامها عند اللزوم !

على هـذا النحو تقرر عدم الاستسلام ، والاستمرار فى المقاومة « الى الحد الذى نعتقد أنه سيكون من الجنون بعد ذلك

الاستمرار فى القتال ، وعندئذ يكلف جمال شخصا بالتفاوض مع القوى المعتدية لايقاف القتال » •

على أن عبد الناصر كان فى تلك الأثناء قد انعزل عن الجيش ولم يعد يدرى شيئا عما يدور داخله أو ما يقوم به ! وفى ذلك يقول عبد اللطيف البغدادى فى يومياته ، انه زار عبد الناصر يوم ٣ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكانت طائرات الأعداء تقوم بضرب مطار ألماظة وقشلاقاتها العسكرية بالقنابل والمدافع الرشاشه ، وكانت الغارات فى ذلك اليوم شديدة ومركزة ،فأخذ عبد الناصر وجهه بين كفيه وقبله ، وشكى له من أنه « لا يعلم شيئا عما يفعله الجيش ، وأن القوات العسكرية انتشرت فى شوارع القاهرة ، وتركت منطقة القناة ! رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة • ومن انه منعزل تماما عن القيادة العسكريه ، ولا تصله أية معلومات عن أوامر العمليات أو تحركات القوات ، أو خطة الدفاع ، رغم أنه المسئول الأول فى الدولة ! وأن صلاح سالم أصبح وكأنه هو المسئول ، وتنفذ اقتراحاته ويصدر الأوامر ، وهو الذى أقنع عبد الحكيم بالتسليم ووقف القتال وأصبح مسيطرا عليه •

وكانت حالة عبد الناصر وهو يذكر ذلك « عصبية » ــ كما يقول البغدادى ــ « بل كان يكاد يفقد السيطرة على نفسه » !

***

- ٦ (*) -

اذا كان قرار تأميم شركة قناة السويس قد أثبت شيئا ، فهذا الشيء هو أن عصر القرارات الفردية قد انتهى مع انتهاء القرن التاسع عشر ، وأن الشعوب تدفع ثمنا غاليا للقرارات الفردية من امكاناتها الاقتصادية والعسكرية والبشرية على نحو يؤثر على حاضرها ومستقبلها . وهو ما أثبته تاريخ القرارات الفردية في عالمنا العربي منذ قرار تأميم قناة السويس حتى قرار صدام حسين بغزو الكويت ، على الرغم من اقتناعنا الشخصي بالفرق الهائل بين القرارين ، فقد كان عبد الناصر يطالب بحق ، وكان صدام حسين يطالب بباطل ، ولكن الأسلوب الفردي في اتخاذ القرار كان واحدا .

وهذا هو السبب في أنه عندما حانت محاسبة عبد الناصر على قرار تأميم شركة قناة السويس ، كانت البلاد غير مستعدة لهذه المحاسبة العسيرة ، وكان نظام الحكم نفسه غير مستعد !

(*) الوفد الموافق ١٩٩٥/٩/١٨ .

فقد رأينا كيف احتلت اسرائيل سيناء دون مقاومة تذكر ، كما رأينا كيف تشرخ نظام عبد الناصر وبدا هشا فى وجه الاعصار .
فقد تهاوت القيادة العسكرية واستقرت على الاستسلام ، وطلب صلاح سالم من عبد الناصر وقف القتال و « نقوم نسلم أنفسنا للسفير الانجليزى تريفيليان » ! واستقر الأمر على فكرة الانتحار ، وجىء بزجاجات سم « سيانور البوتاسيوم » سريع المفعول بما يكفى عدد أفراد نظام عبد الناصر ! واستنادا الى حائط الانتحار أخذ عبد الناصر يستعد للمقاومة ، وقرر الذهاب الى بورسعيد ليقاتل مع الجيش .

وفى ذلك يذكر عبد اللطيف البغدادى انه فى يوم الأحد ٤ نوفمبر ١٩٥٦ ، وكان يبيت مع جمال عبد الناصر فى مجلس قيادة الثورة ، توجه الى حجرة عبد الناصر صباحا ليتناول طعام الافطار معه ، ففوجىء بأنه قد ارتدى ملابسه ، وعندما دخل عليه الغرفه ربت على ظهره وهو جالس على مائدة الافطار ، وقلت له : « كيف الحال اليوم ؟ فرد على بأنه لم ينم طوال الليل ! وصرح لى بأنه قد بكى ، وأنه — على ما يظهر — قد أضاع البلد » على حد قوله ! فتأثرت لحاله ، وجلست أتناول افطارى معه وأنا شارد الذهن ، ولا أعرف ماذا أفعل لأساعده وأساعد نفسى أيضا فى الموقف العصيب الذى يحيط بنا .

ومر طول النهار ، ونحن نتتبع الأحداث وما يجرى حتى المساء • وحوالى الساعة الحادية عشرة مساء ، طلب منى جمال ان أصعد معه الى الدور العلوى بمبنى مجلس قيـادة الثورة ، وصعدنا ، وبعد أن وقفنا قليلا ننظر الى مياه النيل ، وكان الظلام مخيما على جميع أنحاء المدينة ، والسكون شـاملا ، تكلم جمال قائلا : « اننى قررت أن أذهب الى بورسعيد الليلة ، حتى أرى ماذا سيفعل الجيش عندما يعلم أن رئيسهم قد ذهب الى بورسعيد ليقاتل بنفسه ! وعليك أنت أن تتولى أمر السياسة والدعاية » •

ولكنى رددت عليه بقولى : « سأذهب معك ، وعلى الأقل نستشهد هنـاك فى الدفاع عن بلادنا » ! ولكنه طلب منى أن أعيد التفكير فى هذا القرار • وعندما وجد منى اصرارا على ملازمته والذهاب معه ، قال : « سنتحرك عند منتصف الليل » •

والغريب أنه عندما طلب البغدادى من عبد الناصر ابلاغ عبد الحكيم عامر باعتزامهما السفر الى بورسعيد ، خشية أن يفاجأ فى الصباح بوجودهما فى بورسعيد ، رفض عبد الناصر ! وعندما ألح البغدادى ، تظاهر عبد الناصر بالموافقة ، ولكنه علم وهما فى الطريق الى الاسماعيلية أنه لم يخطر عبد الحكيم عامر بالسفر ! وهو ما يشير الى انعدام الثقة بين الرجلين الذين كانا يهيمنـان على مصـير مصر فى تلك اللحظـات المصيرية فى حيـاة مصر !

وكان لدى عبد الناصر ما يبرر عدم ثقته بعبد الحكيم عامر، فقد ذكرنا في المقال الماضي كيف أنه كان معزولا عما يجرى فى الجيش ، وقد دارت مناقشة عاصفة فى هذا الشأن حضرها عبد اللطيف البغدادى ، وحضر الجزء الأخير منها زكريا محيى الدين وحسن ابراهيم . فأبدى المشير استعداده لأن يتولى عبد الناصر القيادة العسكرية بنفسه ، ولكن عبد الناصر رد بأنه لا يطلب تولى القيادة ، وانما يطلب فقط أن يكون على علم بما يجرى ، « وأن يؤخذ رأينا ، فنحن أيضا كنا عسكريين ونفهم بعض الشىء » !

وفى النهاية ، وبعد نقاش حاد ، تم الاتفاق على أن يقوم عبد الحكيم عامر بارسال ضابطين من ضباط أركان الحرب من مكتبه ، ليكونا ضابطى اتصال بمكتب جمال ، وذلك حتى تتوافر له الصورة أولا بأول .

على أنه عندما تم الاجتماع بضابطى الاتصال اللذين أرسلهما عبد الحكيم فى مساء ذلك اليوم ، اكتشف عبد الناصر أن خطة الدفاع ضعيفة !

وعلى حد قول البغدادى : « ناقشنا مع ضابطى الاتصال خطة الدفاع عن القاهرة ، فعلمنا أن الخطة كانت ــ حتى ذلك المساء ــ هى الدفاع عن غرب فرع رشيد ! وذلك حتى يتم

اعادة تنظيم القوات المنسحبة » • فقال لهما جمال : « معنى هذا أننا الآن ، ونحن فى القاهرة ، خارج منطقة الدفاع ؟ » فقيل له : « نعم » ! ولما ناقشنا خطة الدفاع عن منطقة القناة ، وجدناها ضعيفة ، لأن أغلب قواتنا العسكرية كانت قد انسحبت الى منطقة القاهرة • وطلب تعزيز الدفعات بتلك المنطقة •

وقد برر ضابطا الاتصال ضعف خطة الدفاع عن منطقة القناة بأنه من الصعوبة بمكان انزال قوات معادية فى بورسعيد أو السويس ! وأنه اذا كانت هناك محاولة من العدو فستكون غرب الاسكندرية ، وأنه لذلك لم تعط أهمية قصوى لتقوية الدفاعات فى منطقة القناة !

وقد رد عليهما عبد الناصر والبغدادى بأن هذا التقدير منهما خاطىء ، لأن الانذار البريطانى الفرنسى قد حدد المنطقة التى يتم احتلالها وهى منطقة القنال ، ولأنه من الناحية السياسية لا تستطيع انجلترا وفرنسا احتلال كل أراضى مصر لتصلا الى القناة التى هى موضع الخلاف ، ومن الناحية العسكرية فان خسائرهما ستكون باهظة وتطول مدة العمليات •

ويتبين من هذه القصة مدى تخبط القيادة العسكرية وسوء تقديرها للموقف العسكرى ، وهو ما أدى بعبد الناصر الى تجاهل المشير عامر عند سفره مع عبد اللطيف البغدادى من

القاهرة للذهاب الى بورسعيد ولكن الغريب حقا هو أن عبد الناصر قد قبل بعد ذلك بوجود عبد الحكيم عامر على رأس الجيش المصرى رغم ما أبدى من ضعف قيادة وتخبط ! ولعله كان يضع فى اعتباره أنه هو الذى وضع المشير عامر فى هذا العجز بقراره الانفرادى بتأميم قناة السويس .

وكان عبد الناصر يحس بمسئوليته بعمق فى تلك الأيام العصيبة ، فقد رأينا أنه اعترف لعبد اللطيف البغدادى بأنه بكى، لأنه « على ما يظهر قد أضاع البلد » !

ونلمس ذلك بوضوع فى رحلة عبد الناصر التاريخية مع عبد اللطيف البغدادى الى الاسماعيلية فى طريقهما الى بورسعيد . يقول عبد اللطيف البغدادى :

« اتخذنا طريق الكورنيش بعد مغادرتنا لمبنى مجلس الثورة ، ومنه اتجهنا الى الاسماعيلية . وعلى هذا الطريق شاهدنا عربات عسكرية كثيرة مدمرة أو مقلوبة ، ودبابات متروكة ، منها المحروق ، ومنها ما يظهر أنه سليم ، أو ربما يكون معطلا نتيجة اصابته من الطائرات المغيرة التى ظلت تهاجم القوات المتحركة على هذا الطريق بعد الانسحاب وهى فى طريقها الى القاهرة » .

وكان جمال يسألنى عن كل دبابة أو عربة نمر بها :ماذا بها ؟ وكنت أشعر أنه فى عالم آخر ، غارق فى التفكير . وكنت ألمس أنه متعب جدا من الموقف . وكنت أحاول أن أخفف عنه ، وأهون عليه الأمر . وكنت أعتبر هـــذا من واجبى فى هذه الآونة التى تمر بها بلادى ، وأعرف أن جمال هو رمز الثورة فى مصر بل وفى المنطقة كلها .

وبينما نحن فى طريقنا الى الاسماعيلية ، قال جمال بصورة مؤثرة ومحزنه ، بعد ما شـــاهد العربات والدبابات محطمة على جانبى الطريق : « انها بقايا جيش محطم » ! وأخذ يتحسر على المبالغ التى كانت قد أنفقت على تسليح الجيش قائلا : ان مائة وثلاثة ملايين من الجنيهات قد ضاعت هباء ! كما قال بالانجليزية : لقد هزمت بواسطة جيشى ! وكنت أقول له : لا تيأس ! ولكنه يرد على بقوله : انك تعرف أننى لا أيأس أبدا ! وكنت أحس أن أمامى رجلا محطما ، ويتوقف عليه وعلى تصرفاته مستقبل بلدى . وشـــعرت بالعطف عليه .. وكنت أقارن بينـــه فى تلك اللحظة وبينه فى لحظات أخرى سابقة ، عندما كان يشعر بالانتصار والقوة ، وكنت أعرف ما يدور بخلده وهو فى هذه الحـــالة ، وأن لا حول له ولا قوة ، رغم أنه قائد ثورة ورئيس جمهورية !

ولم تكتمل رحلة عبد الناصر الى بورسعيد ، فقد نصحهما كمال الدين حسين ، الذى كان يتولى الدفاع عن الاسماعيلية .

بالبقاء فى الاسماعيلية حتى مساء ثانى يوم ، لأن استمرار رحلتهما سيعرضهما لهجمات طائرات العدو عندما يطلع النهار . وقد قبلا النصيحة ، وآويا الى فراشهما حوالى الساعة الخامسة صباحا . وكان البغدادى يبيت مع عبد الناصر فى غرفة واحدة ، وبعد لحظة من انفرادهما ، وجه عبد الناصر الكلام الى البغدادى قائلا : « أنا تعبان » ! قالها وهو يتقلب فى فراشه ، قالها وهو فى حالة يأس شديد أشعرنى بها ، وقلت له : « أنا عارف ، ولكن شد حيلك » ! ولم أكن أعرف بماذا أرد عليه غير ذلك . وسكت ، وسكت أنا أيضا » .

لقد كان عبد الناصر فى ذلك الحين يدفع ثمن القرارات غير المحسوبة ، ولكنه لم يكن وحده ، فقد كان الشعب المصرى بأسره يدفع الثمن أيضا !

- ٧ (*) -

رأينا فى مقالنا السابق كيف انهـــار عبد الناصر وهو فى طريقه الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادى ، بعد ما شاهد العربات والدبابات المصرية محطمة على جانبى الطريق ، وكان تقديره الذى أدلى به لعبد اللطيف البغـــدادى هو أنه « هزم بواســـطة جيشــــه » وقد قالها بالانجليزيـــة :

I was defeated by my army

على أن الحقيقة هى أنه هو الذى هزم جيشه ! لأنه دفع به الى الحرب دون استعداد . ذلك أن مقارنة القوات المصرينة بالقوات الاسرائيلية حتى بعد حصـــول مصر على صفقة الأسلحة الروسية تعتبر حاســـمة فى توضيح تفوق القوات الاسرائيليـــة على القوات المصريـــة . ففى حين كان لدى مصر فى القـــوات البرية ١٢ لواء ، كان لدى اسرائيل ٢١ ، وفى حين كان لدى مصر ٧٧٦ من المدفعية والهاونات ، كان لدى اسرائيل ٩٩٠ ، وبينما كان لدى مصر من المقاتلات الجوية ٧ مقاتلات كان لدى

(*) الوفد الوافق ١٩٦٥/٩/٢٥ .

اسرائيل ٩ ، ولم يكن لدى مصر من القاذفات المقاتلة سوى قاذفة واحدة بينما كان لدى اسرائيل ٧ ، أما القاذفات فكان لدى مصر قاذفتان أما اسرائيل فكان لديها ٤ ، ولم يكن لدى مصر أية طائرة استطلاع بينما كان لدى اسرائيل ٣ ـ وهكذا .

وفى الوقت نفسه وبالنسبة للدبابات المصرية فكانت من نوع ت ٣٤ الروسى التى خدمت فى الحرب العالمية الثانية ، وهى أقل كفاءة من الدبابات الاسرائيلية من طراز شيرمان وسوبر شيرمان وسنتوريان ، وهى انجليزية وفرنسية الصنع . ولم يكن الطيارون المصريون قد استوعبوا الطائرات الروسية من طراز ميج ١٥ و ١٧ ، بينما كان الطيارون الاسرائيليون قد تلقوا التدريب على يد فرنسا . كما تمتعت القوات البرية الاسرائيلية بخفة الحركة نظرا لتزويدها بناقلات الجند الفرنسية نصف جنزير ، فضلا عن تفوق مدفعيتها ذاتية الحركة . وهذا الكلام منقول من كتاب حرب العدوان الثلاثى على مصر الذى أعدته هيئة البحوث العسكرية بوزارة الدفاع المصرية .

على أن هذه المقارنة بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية لم تكن مما يهم عبد الناصر فى قليل أو كثير ، فلم يكن يلقى ببال لها ، ولم يكن يتوقع قيام اسرائيل بأى عدوان عسكرى على مصر بانتهاز أزمة تأميم شركة قناة السويس ، وحتى لو فكرت فى ذلك فقد كان يعتقد أن ايدن سوف يمنعها !

وفى ظل هـذه الثقـة الكاملة بأن أيدن سـوف يمنع اسرائيل من العدوان على مصر ، فقد استبعد عبد الناصر تماما قيام ايدن نفسـه بالعدوان على مصر ! ومعنى ذلك استبعاد تورط كل من انجلترا وفرنسا فى حرب ضد مصر ، وبالتـالى فلم تدخل قوات تلك الدولتين فى اطـار المقـارنة مع القوات المصريـة !

لقد كان عبد الناصر يعتقد أن عمليـة تأميم شركة قنـاة السويس مأمونة تماما ولا تشـكل أى تهديد عسكرى لمصر ، وهذا هو السبب فى أنه عندما تحقق من أن ظنه كان يقوم على أوهام ، ووقعت الواقعـة ، كان الجيش المصرى هو الضحيـة الأولى ، فقد وجد نفسه يخوض حربا ضـد قوات تفوقه عددا وعدة تنتمى لدولتين عظميين ودولة متربصـة بمصر .

ومن سـخريات القـدر حقا أن سـوء تقـدير وحسابات عبد الناصر لنتائج القرارات السياسية التى يتخذها لم ينعكس فقط على ضياع الجيش المصرى فى حرب ١٩٥٦ ، بل انعكس أيضا على ضياع الجيش المصرى فى حرب يونية ١٩٦٧ !

وهو ما حدث عندما اتخذ عبد الناصر قراره بسحب قوات الطوارىء الدولية من غزة وشرم الشيخ ، فأعاد المواجهـة بين مصر واسرائيل ! ثم اتخذ قراره باغـلاق الملاحـة فى وجـه

أسرائيل عن طريق غلق خليج العقبة ، فوصل بالأمور بين مصر واسرائيل الى حالة الحرب ! وذلك دون أن يكون الجيش المصرى مستعدا للدخول فى حرب فى ذلك الحين !

ونلاحظ أن هـذين القرارين ، مثلهما فى ذلك مثل قرار تأميم شركة قناة السـويس ، كانت قرارات مدوية ، أسبغت بالفعل على عبد النـاصر هالات البطولة والزعامة فى العـالم العربى ، ولكنـه اتخذها دون أى استعداد عسـكرى لمواجهة نتائجها ! فكانت نتائجهـا فادحة ومأساوية على مصر والعـالم العربى ، وكانت فاتورة الحسـاب التى دفعتها الأمة العربيـة باهظة ! ومع ذلك فمن الغريب أن الأمة العربية لا تذكر فاتورة الحساب ، التى لاتزال تسدد أقساطها حتى يومنا هذا ، وانما تذكر الحماس الجنونى الذى صاحب صدور هذه القرارات !

ولكن المهم هو أن حسابات عبد الناصر الخاطئة عند تأميم شركة قناة السويس أفقدته ثقة المشير عامر عندما تنبأ فى يوم ٢ يونيـة ١٩٦٧ بأن اسرائيل سـوف تضرب الضربة الجويـة الأولى فى خـلال ٤٨ ــ ٧٢ سـاعة ، فكمـا هو معروف فان عبد الحكيم عامر لم يأبه لهذه النبؤة ، ولم يحترمهـا ، ولم يتخذ أية اجراءات فعالة تسمح للقوات المسلحة بتوقى الضربة الأولى وتوجيه ضربة مضادة انتقامية •

فعندما سأل الفريق عبد المحسن مرتجى المشير عامر بعد انتهاء الحرب عن سبب عدم الأخذ بوجهة نظر عبد الناصر فى ميعاد نشوب القتال ، رد المشير قائلا : « انه لا يعرف فى عبد الناصر أنه كاهن أو أن الوحى ينزل عليه ، أو عنده من صفاء الروح والشفافية ما يجعله يتنبأ مسبقا بالأحداث » ! واستطرد المشير عامر قائلا : « أن عبد الناصر سبق وتنبأ فى عام ١٩٥٦ ، بعد تأميم قناة السويس ، بأن الموقف الدولى لن يسمح للانجليز والفرنسيين أن يشنوا هجوما على مصر بسبب هذا التأميم ، وكان هذا التنبوء ضد رأى المخابرات الحربية التى تجمع لديها من المعلومات عن تحركات الانجليز والفرنسيين ما يوحى بأن الهجوم على مصر مرجح جدا بل انه مؤكد .

ثم قال المشير عامر انه لم يأخذ كلام عبد الناصر على محمل الجد : « وهل معقول ، اذا أخذت رأى الرئيس على أنه حقيقة تقع ، أن أطلب من جميع القادة فى سيناء أن ينتظرونى فى مركز القيادة المتقدم فى سيناء يوم ٥ يونيو ، وأن أعرض حياتى ومعى قائد الطيران والقادة الآخرون للخطر ؟ » .

وهذه مأساة — كما لعل القارىء يلاحظ ! — لقد كانت مصر واقعة فى يد اثنين : أحدهما ، وهو عبد الناصر يتخذ قراراته

بناء على حسابات خاطئة ، والآخر ، وهو عبد الحكيم عامر ، يقيم خططه العسكرية بناء على حسابات خاطئة ! وكانت النتيجة أنه عندما توفى عبد الناصر فى يوم ٢٨ سبتمبر ١٩٧٠ كانت كل أرض سيناء والضفة الغربية وغزة والجولان واقعة تحت الاحتلال الاسرائيلى .

وهنا نحن نرى المتشنجين من حملة قميص عبد الناصر يصابون بالأرتيكاريا كلما كشفنا حقيقة هذا النظام ورموزه من واقع الوثائق التاريخية المحققة . لقد عاشوا فى الوهم ، ويستمرءون العيش فى الوهم ، ولا يريدون أن يفيقوا الى حقائق التاريخ ، ولا يريدون لشعبنا أن يعرف تاريخه الحقيقى !

على أن عبد الناصر كان فى نوفمبر ١٩٥٦ يعرف أنه دفع بالبلاد الى هوة ليس لها قرار ، وعلى حد قول عبد اللطيف البغدادى « صرح لى بأنه بكى ، وأنه على ما يظهر قد أضاع البلد » !

وقد أورد صلاح نصر أن عبد الحكيم عامر ذكر عبد الناصر بتحذيره له من مواجهة دولتين كبيرتين ، وقال لعبد الناصر ان القوات المسلحة ليست فى وضع استعداد لمواجهة غزو كبير ، وان معنى ذلك انتحار القوات المسلحة ، وتخريب اقتصاد مصر ، وأن ضرب مصر سوف يؤخرها ألف سنة على الأقل ،

وأن ضميره لن يسمح له بأن يتحمل الشعب المصرى هذه المجزرة .

ويصف صلاح نصر عبد الناصر عند سماع هذا الكلام بأنه كان « فى حالة أشبه بالهستيريا ، ويبدو أنه تذكر نهاية هتلر وبعض أعوانه ، فاقترح على أعضاء مجلس الثورة الانتحار كبديل للاستسلام » !

وبسبب اهتزاز الثقة بين عبد الناصر والمشير فانه سافر الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادى فى طريقهما الى بورسعيد ، دون أن يخبر عبد الحكيم عامر قائد جيشه بذلك ، رغم الحاح البغدادى عليه — كما ذكرنا — على أن المشير أرسل صلاح نصر فى أثره فى اليوم نفسه بحجة الوقوف على الموقف العسكرى فى الاسماعيلية !

وعلى طريق الاسماعيلية ، كما يقول صلاح نصر « رأيت فلول جيش ودمارا جعلا الحسرة تكاد تفتك بى : دبابات مدمرة ومدافع محروقة وسيارات عسكرية مقلوبة أو خاوية على هيكلها .. كل هذه تشير الى ما فعله العدو بقواتنا المسلحة .

وصلت الاسماعيلية ، وتوجهت الى مبنى القيادة العامة بها ، فوجدته غاصا بالضباط . كانت البلبلة تبدو على وجوه

كثير من الضباط ، ولم تكن هيئة القيادة العسكرية توحى بأنها على مستوى مواجهـة عملية غزو كبير !

ورأيت عبد الناصر وكمال الدين حسين . كان عبد الناصر يبدو كأسـد جريح أدمته الخناجر ، وكان يبدو على وجهه قلق واضح مما تخبئه الأيام . طلب منى عبد الناصر أن أعود الى القاهرة ، وأن أبقى بجوار عبد الحكيم ! وطلبت منه العودة الى القاهرة ، حتى يستطيع أن يدير دفة الدولة ، ولكنه رفض !

ولكنى ما أن عدت للقاهرة حتى عاد عبد الناصر اليها ، وعلمت من عبد الحكيم أنه هو الذى ألح عليـه بالعودة الى القاهرة . وشعرت أن عبد الحكيم قد ساءه أن يسافر جمال الى القناة دون أن يخبره .

وهكذا كانت ثورة يوليو تواجه العدوان الثلاثى مواجهة مضطربة ، وقيادتها منقسمة وقد انعدمت الثقة بين أفرادها ، فى الوقت الذى كانت القيادة العسكرية قد فقدت سيطرتها على قواتها ، فقد انتشرت القوات العسكرية فى شـوارع القاهرة ، وتركت منطقة القناة ! رغم الاتفاق على سحبها من سيناء للدفاع عن تلك المنطقة !

وكانت الخلافات بين أعضـاء مجلس الثورة حول الموقف من العدوان قد وصلت الى طريق مسدود . كان عبد الناصر ــ

كما يقول صلاح نصر ــ « يكن الكره لصلاح سالم ، ويظن أنه هو الذى يحث عبد الحكيم عامر على التسليم » .

وفى أثنــاء ذهاب عبد اللطيف البغدادى الى عبد الحكيم عامر ركب مع صـــلاح دسوقى فى سيارته ، « واقترح صـــلاح دسوقى على البغدادى ونحن فى الطريق أن نقوم باعتقال صلاح ســالم وأن نضعه فى منزلى ، وأن يقوم ضــباط من البوليس بحراسته . ولكنى رفضت الفكرة » . وقد كان الحــل الذى تم التوصل اليه هو ابعاد صلاح سالم الى الســويس ليتولى الدفاع عنها !

ولم يسأل أحد نفسه كيف يمكن لضابط برتبة « صاغ » أن يتولى الدفاع عن مدينة كبيرة مثل السويس ؟ هل مات كل لواءات الجيش المصرى ولم يبق أحـد ليتـولى الدفـاع عن الســويس ؟

- ٨ (*) -

درجت النظم السياسية على أن تتعلم من أخطائها ، اللهم
ثورة يوليو ! فقد ارتكبت أخطــاء ١٩٥٦ مرتين ، وبنفس
أشخاص ! وكانت المرة الثانية فى ١٩٦٧ ! وهو أمر فريد فى
تاريخ ، ولكن له أسبابه التى سوف نعالجها ، وان كان السبب
أكبر هو أن القيادة التى أثبتت فشلها فى عام ١٩٥٦ كانت هى
نفسهــا القيــادة التى قــادت الجيش المصرى الى هزيمــة
ثانيــة ١٩٦٧ !

وثبوت فشل قيادة ١٩٥٦ فى ادارة دفة الحرب ليس من
تحدياتنا وليس من استنتاجاتنا ، بل هو أمر تثبته وثائق تلك
الحرب . فيذكر أحمد حمروش فى كتابه الوثائقى عن قصة ثورة
يوليو أن ادارة عبد الحكيم عامر للمعركة كانت دون مســتوى
المؤامرة الخطيرة التى كانت موجهة ضــد مصر ، وأن مواجهته
للعدوان لم تكن ايجابيــة ولا ديناميكية . ولم تكن شخصيته

(*) الوفد الوافق ١٩٩٥/١٠/٢ .

المحبوبة ذات تأثير نافذ فى ظروف المعركة . وكان تحريكه للقوات واعداده للخطط غير متناسب مع خطورة الموقف ، وذلك على الرغم من استعانتـه فى ذلك الوقت فى مكتبـه بعدد من خيرة ضباط أركان الحرب !

ويضرب المثل باصدار عبد الحكيم عامر أمره لمحمد رياض محافظ بورسعيد ، بتولى قيادة القوات المسلحة فى بورسعيد ، وهو مدنى متخرج فى كليـة الحقوق ! كما أن مساعده قائد القوات الجوية محمد صدقى محمود ترك طائراته فريسة للهجوم وهى رابضـة على الممرات الجوية دون تحليق ، مما أدى الى تحطيمها فعلا فى يوم واحد ، رغم أن خطة الاسرائيليين قد قدرت لذلك يومين !

وقد أثار ذلك غضب عبد النـاصر . فيذكر عبد اللطيف البغدادى أنه فى اجتماع يوم السبت ١٠ نوفمبر ١٩٥٦ ، صدر عنه بعض الكلمات الجارحة عن الجيش . فقد شرح لعلى صبرى ، الذى كان يحضر الاجتمـاع ، ما يأخـذه على الجيش وعلى عبد الحكيم ، وروح الاستسلام الذى كانت قد انتابتهم ، والشلل الذى حدث لهم بعد دخول الانجليز والفرنسيين المعركة .

وكان من الطبيعى أن ينتقل السخط الى رجـال القوات المسلحة . وهو ما صارح به عبد اللطيف البغدادى عبد الحكيم

عامر فى عشاء مع عبد الناصر يوم ١٥ نوفمبر ١٩٥٦ ، فقد أبلغه « بما كان يلمسه ويسمعه من ضباط القوات الجوية ، من أنهم فقدوا الثقة فى قيادتهم نتيجة للأخطاء التى حدثت » . وقال ان هذا يستلزم من المشير اتخاذ بعض الاجراءات بالنسبة لهؤلاء القادة ، حتى تعود الثقة بين القادة ومرءوسيهم ، وعليه أن يجرى تحقيقا مع القادة الذين تسببوا باهمالهم فى هذه الأخطاء ، والعمل على نقلهم الى جهات أخرى .

وقد تدخل عبد الناصر فى الحديث ، ضاربا المثل بصدقى محمود رئيس هيئة أركان حرب القوات الجوية ، وقال : « مثلا ينقل الى وكيل وزارة الحربية لشئون الطيران » ! على أن عبد الحكيم عامر رفض محاسبة هؤلاء القادة ، بل أعلن أنه يلتمس لهم العذر فيما حدث ، « واذا كانوا قد أخطئوا ، فاعتبرنى مسئولا أيضا ، ومن المستحسن أن أستقيل أنا كذلك » !

وقد كان عبد الحكيم عامر مهذبا ، فلم يواجه عبد الناصر بأن حساباته الخاطئة هى التى زجت بمصر فى حرب مع دولتين كبيرتين بالاضافة الى اسرائيل ، وأنه لم يأخذ رأيه فى قرار تأميم شركة قناة السويس الذى يعرض مصر للحرب ، على الرغم من أنه قائد عام القوات المسلحة ، ولم يخطره به الا قبل

أعلان القرار • كما لم يواجهـه بأنه عندما اتخذ القرار الذى زج بمصر في الحرب ، ولم يكن الجيش المصرى مستعدا ، وانما كان لايزال بعد في مرحلة انتقال ، وغير مستقر على أرض ثابتة من نواحى التسليح والتدريب والتنظيم والعقيدة القتالية •

والمهم هو أن هذه القيادة العسكرية التى ارتكبت أخطاء حرب ١٩٥٦ كانت هى نفسها القيادة التى ارتكبت أخطاء حرب ١٩٦٧ ! وبمعنى آخر أنها كانت هى نفسها القيادة التى تركها عبد الناصر فى مواقعها لترتكب أخطاء حرب يونية ١٩٦٧

فكما رأينا فقد رفض عبد الحكيم محاسبة القادة العسكريين الذين ارتكبوا أخطاء فى حرب ١٩٥٦ ، وزاد على ذلك أن فرض حمايته الشخصية عليهم ، بعد أن ربط مصيره ووجوده على رأس الجيش بوجودهم • ولم يملك عبد الناصر الا الاذعان ، دون أن يخطر بباله أنه يعرض مستقبل البلاد للخطر ، فلم تكن مصر فى حالة سلام يطمأن اليها ، وانما كانت فى حالة حرب مع اسرائيل يمكن أن تتجدد نيرانها فى أى وقت ، فتتكرر نفس الأخطاء على يد نفس القيادة العسكرية !

وهو ما حدث فى حرب ١٩٦٧ ، فكما دفع عبد الناصر بالجيش المصرى فى حرب ١٩٥٦ بقرار تأميم شركة قناة السويس ، وهو غير مستعد لهذه الحرب ، فقد دفع بالجيش فى حرب ١٩٦٧

وهو غير مستعد أيضـــا ! وذلك بقرار سحب قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ ، وقرار اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية •

وقد كرر المشير عامر نفس الأخطاء على نحو يثير الدهشة ! فقد كان يتصل بضباط مسئوليتهم محدودة فى الجبهة ، ولا يتصل بقائد الجبهـــة الفريق عبد المحســـن مرتجى ! وكان شـــمس بدران ، وزير الدفاع وقتذاك ، موجودا مع عبد الحكيم عامر بالمكتب طوال أيام الحرب ، وينام معه فى سرير واحد فى الغرفة الملحقة بمكتبه ، وكان واضحا جهله بادارة العمليات الحربية ، فلم يكن له من عمل طوال الأزمة الا تقديم بعض الأوراق الى عبد الحكيم عامر الواردة الى مكتبه !

ويقول عبد اللطيف البغدادى انه ـــ لهذا السبب ـــ كان مدفوعا مع حسن ابراهيم وكمال الدين حسين ، للمقارنة بين شمس بدران ، وزير الدفاع المصرى ، وموشيه دايان ، وزير الدفاع الاسرائيلى ! كنت دائم القول لحسن وكمال : « تصوروا أن شمس هذا هو المسئول عندنا ، والمقابل لموشى ديان عند اليهود » ؟

كما روى البغدادى عن ادارة عبد الحكيم عامر لمركة١٩٦٧ انه ظل « ثلاث ساعات »من مساء الاثنين ٥ يونية ، « مشغولا

بالاتصال بضابط فى مطار العريش اسمه الديب ، ويطلب منه دفع مدفع ٥٧ ملم للدبابات من مطار العريش الى بلدة العريش ، لأن دبابات العدو كانت قد وصلت اليها . وكان عبد الحكيم يهدده بأنه سيقتله اذ لم يرسل المدفع الى بلدة العريش ! حتى أصبح موضع تفكه بيننا ، اذ كيف يمكن لقائد عام كعبد الحكيم عامر أن يشغل نفسه بموضوع مدفع طوال هذا الوقت ؟ وأين القيادات المحلية ؟ وتذكرنا عام ١٩٥٦ ، عام معركة السويس ، وكيف كانت تدار » ؟

وفى الواقع أن المشير عامر كان يدير المعركة على طريقة ادارة البلاد ! فلم يعتمد على أركان حربه ، وانما اعتمد على هيئة ضباط مكتبه التى كانت تتكون من المنتفعين والمتسلطين على رقاب العباد ، وكلهم نسوا الفن الحربى ، لاتجاه اهتماماتهم الى اتقان فن الرقابة على الجماهير .

وقد اعترف الفريق محمد فوزى بأن « القيادة الفردية البيروقراطية العسكرية ، هى التى سببت الهزيمة يوم ٥ يونيو ، كما أن انهيار المشير عبد الحكيم عامر شخصيا ، واصداره قرار الانسحاب ، قلب الهزيمة الى نكسة » !

وقد كان قرار الانسحاب أنموذجا للقرارات التى كانت تتخذ فى ذلك الحين وأدت الى النكسة ، بل كان فضيحة عسكرية

تضاف الى فضـــائح ثورة يوليو العسكرية ، التى استولت على الحكم فى يوم ٢٣ يوليو بحجة هزيمـــة الجيش المصرى فى حرب ١٩٤٨ ، فاذا بها ترتكب من الأخطاء العسكرية ما تضاءلت الى جانبه أخطاء حرب ١٩٤٨ !

ولندع الفريق محمد فوزى يروى بنفســـه فضيحة قرار الانسحاب يوم ١٩٦٧/٦/٦ . فيقول :

« طلبنى المشير بعد ظهر يوم ١٩٦٧/٦/٦ ، قائلا لى : « عايزك تحط لى خطـــة سريعة لانسحاب القوات من ســـيناء الى غرب قناة السويس » . ثم أضاف : « أمامك ٢٠ دقيقـــة فقط » !

أى أن معلومات المشير العسكرية أقنعته بأنه فى الامكان وضع خطة سريعة لانسحاب القوات من سيناء فى وقت لا يتجاوز ٢٠ دقيقـــة !

ويقول الفريق محمد فوزى انه فوجىء بهـــذا الطلب ، « اذ إنه أول أمر يصدر الى شخصيا من المشير ، الذى كانت حالته النفسية والعصبية منهارة . بالاضافة الى أن الموقف لم يكن يســـمح بالمناقشـــة أو الجدل ، أو معرفة دوافع التفكير فى مثل هذا الأمر . فقد كانت القوات البرية فى سيناء متماســـكة

حتى هذا الوقت ، فيما عدا قوات الفرقة السابعة مشاة ، ولم يكن هناك ما يستدعى اطلاقا التفكير فى انسحابها ! » •

« أسرعت الى غرفة العمليات ، حيث استدعيت الفريق أنور القاضى ، رئيس الهيئة ، واللواء تهامى ، مساعد رئيس الهيئة ، وجلسنا فترة قصيرة نفكر فى أسلوب وطريقة انسحاب القوات ، بعد أن أعطيت طلب المشير الى كليهما » •

« وانتهى بنا الموقف الى وضع خطوط عامة جدا ، واطار واسع لتحقيق الفكرة • ودونها اللواء تهامى فى ورقة • وكان هذا الاطار يحدد خطوط انسحاب القوات وتوقيت التمركز فى هـذه الخطوط » •

« توجهنا نحن الثلاثة الى المشير • وكان منتظرا واقفا خلف مكتبه ، واضعا احدى ساقيه على كرسى المكتب ، ومرتكزا بذقنه على ساقة الموضوعة فوق الكرسى » •

« وبدأ اللواء تهامى فى القراءة بقوله : « ترتد القوات الى الخط كذا يوم كذا ، ثم الى الخط كذا يوم كذا ، وأن يتم ارتداد القوات بالتبادل على هذه الخطوط ، لحين وصولها الى الخط الأخير غرب قناة السـويس بعد أربعة أيام من يوم البدء

فى الانسحاب ــ أى أن يتم الانسحاب فى أربعـة أيام وثلاث ليـال » .

« وعندما سمع المشير الجملة الأخيرة الخاصة بتحديد مدة الانسحاب ، رفع صـوته قليلا موجها الحديث لى : أربعة أيام وثلاث ليال يا فوزى ؟ أنا خلاص أعطيت أمر الانسحاب » ! ثم دخل الى غرفة نومه بطريقة هستيرية ، بينما انصرفنا نحن الثلاثة مندهشين من حالة المشير ! » .

- ٩ (*) -

كان استطرادنا للحـديث عن حرب ١٩٦٧ أمرا فرضـه تكرار أخطاء ١٩٥٦ ، على يد نفس الأشخاص ، وهو ما لا نرى مثيلاً له فى التاريخ ، وهو ما يبرهن على حقيقة تاريخيـة هى أن العهد الناصرى لم يكن مؤهلا لأن يقود مصر الى أى نصر !

وعلى كل حال فقد رأينا فى مقالاتنا السابقة كيف تهافتت القيادة العسـكرية فى وجه العدوان الثلاثى ، وتملكتهـا روح الاستسلام ، وفقدت سيطرتها على قواتها ، فانتشرت القوات العسكرية فى شـوارع القاهرة تاركة منطقة القناة التى كان مقررا أن تدافع عنها ! ووصلت الخلافات بين أعضـاء مجلس الثورة حول الموقف من العدوان الى طريق مسدود ، حتى جرى التفكير فى اعتقال صـلاح سالم ولكن رؤى التخلص منه عن طريق أن يتولى الدفاع عن مدينة السويس !

(*) الوفد الموافق ١٩٩٥/١٠/٩ .

وقد كان من حسن حظ مصر أنه فى الوقت الذى تخاذلت فيه قيادات ثورة يوليو وتملكها الرعب من المصير ، واستقر رأيها على الانتحار ، وأعدت بالفعل سيانيد البوتاسيوم لهذا الغرض ، كان الشعب المصرى متماسكا أمام الخطر ، ولم يتطرق الجزع الى نفسه ، وكان يعطى قيادته درسا فى الصمود !

وهذا ما يعترف به عبد اللطيف البغدادى ، الذى يقول انه فى يوم الجمعة ٢ نوفمبر عندما ذهب الى بيته لتناول طعـام الغداء ، اتصل به جمال عبد الناصر طالبا منه الذهاب اليه فى مكتبه بمجلس الوزراء ، « وشعرت من نبرات صوته أن هنـالك شيئا يضايقه وله خطورته ، ولذلك نزلت مباشرة دون أن أتناول غدائى . ولمـا وصلت الى هنالك لم يكن بالمكتب غير جمـال وعبد الحكيم .

« وأخذت أتحدث اليهما عن روح الشعب ، وتصرفاته أثناء الغارة الجوية التى شاهدتها عندما كنت متوجها من القيادة الى الدقى ، واستهتار الشعب بهذه الغارات ، ومعنوياته المرتفعة . وبدأ عبد الحكيم قائلا ان الاستمرار فى المعركة سيترتب عليـه تدمير البلاد وقتل الكثيرين من المدنيين ، وانه يفضـل تفاديا لهذا التدمير أن نطلب ايقاف القتال ! » .

ومعنى هذا الاعتراف من البغدادى أنه فى الوقت الذى

كان الشـــعب المصرى يظهر استهانته بالغارات الجوية ، وترتفع معنوياته فى وجه الخطر ، كانت القيـادة العسـكرية تفكر فى التسـليم !

ومن حسن الحظ أن الشعب لم يكن يعلم بما يدور فى ذهن قيادته العسكرية ، وأنه صـدق قيادته السياسـية عندما ذهب عبد الناصر فى نفس اليوم الى الجامع الأزهر ، وخطب فى المصلين ، وأعلن عن أصرار مصر علي القتال .

وحتى عندما شعر عبد الناصر بحجم الكارثة وهو فى طريقه الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادى ، بعد ما شاهد العربات والدبابات المحطمـة على جانبى الطريق ، وقـال : لقد هزمنى جيشى — فان الشعب المصرى لم يهزمه ! ففى صباح اليوم التالى، وعلى الرغم من أن العدو كان قد أنزل جنود مظلاته فى بورسعيد، فى محاولته للاستيلاء على المدينة ، فانه عندما وقف عبد الناصر وعبد اللطيف البغـدادى فى الصباح فى احدى فرندات مبنى القيادة ، كانت مشاهدة الأهالى كافية لبث الأمل فى نفسيهما بعد يأس ! فيقول عبد اللطيف البغدادى :

« وقفنا فى احدى فراندات مبنى القيادة ، فشاهدنا سكان المدينـة وهم يسيرون فى شـوارعها وكأن الحيـاة طبيعية ، وليست الحرب على بعد عشرات الكيلو مترات منهم ! وكان كل

منهم يحمل بندقيته على كتفه ، حتى البائع المتجول كان يجلس على الرصيف ، وبندقيته الى جواره ! فاشعرتنا هذه الصورة بالأمل ، وأحسسنا أن الجو فى الاسماعيلية يختلف تماما عن الجو الذى يحيط بنا فى مبنى مجلس الثورة بالقاهرة ، وربما يكون ذلك ناتجا عن انعزالنا فى مبنى القيادة لا نرى أحدا ولا نسمع الا أخبار القوات العسكرية وانسحابها من سيناء ، وما حدث لها أثناء انسحابها ومدى خسائرنا . ولكن رؤيتنا لأهالى الاسماعيلية ، وهم أقرب الناس الى منطقة القناة ، وهم يسيرون بهذا الهدوء وهذه الثقة وكأنهم لا يتوقعون قتالا ، ساعدنا على استرداد بعض معنوياتنا التى كنا قد فقدناها ، وبدأت الثقة تعود الى نفوسنا » !

وفى أثناء عودة عبد الناصر مع عبد اللطيف البغدادى الى القاهرة ، لاحظ عبد الناصر أنهما عادا ثانية حتى دون أن يمرا على القوات التى بالاسماعيلية . ورد عبداللطيف البغدادى قائلا : « ان هذا لا يهم ، وكل ما يهمنى الآن أننى قد شعرت براحة بعد ما كنت أحس بالضيق ، وربما يكون ذلك بعدما شاهدنا الناس بالاسماعيلية . واننى أحس الآن براحة وطمأنينة ! » . فأمن عبد الناصر على كلامه .

ومن هنا حين أطلق عبد الناصر قولته : « ان الشعب هو المعلم » كان يعنيها حقيقة ، فلم تنكسر روح الشعب أبدا وهو

يواجه معركة يائسة بقيادة فاشلة ضـــد قوات دولتين عظميين ودولة اسرائيل !

ومن هنا جاءت مقاومة الشعب فى بورسعيد للغزو ! فعلى الرغم من أن عدد طلعات العدو الجوية التى قامت بها طائراته فوق بورسعيد بلغت يوم ٥ نوفمبر ٤٧٣ طلعـــة ، فان المقاومة الشعبية ظلت مستمرة فى المقاومة بشكل يدعو الى الفخار رغم عدم توافر الامكانيات !

فلقد ذكرنا أن بورسعيد كانت خارج خطة الدفاع المصرية الأصلية ، التى كانت قد بنيت على أســاس الدفاع عن غرب فرع رشيد . وكان اعتقـــاد القيـــادة العســـكرية المصرية أن بورسعيد مدينة يتعذر الدفاع عنها ، نظرا لكونها محاطة ببحيرات ومستنقعات ، وانما يمكن مهاجمـــة القوات المعتدية عندما تتدفق على الطريق الضيق الذى يصل المدينة بالاسماعيلية والسويس .

ولذلك كانت القوات المسلحة المصرية فى المدينة محدودة. فوفقا لحمروش فان هذه القوات كانت تتكون من اللواء السابع والكتيبة الرابعة مشاة ، الى جانب المدفعيـــة الساحلية والمضادة للطائرات . وان كان العميد محمد كمال عبد الحميد يذكر أن هذه القوات كانت تتكون من سريتين من مشاة الكتيبة ٢٧٥ ، وكتيبة المشاة الرابعـــة التى كانت قد وصلت توا من سيناء بعد

أن تقرر الانسحاب العام ، ثم الكتيبـــة رقم ٢٩١ مشاة التى كانت قد وصلت بورسعيد يوم ٢١ أكتوبر ، هذا بالاضافة الى خمس سرايا أخرى ، وكتيبـــة حرس وطنى ، وفرق المقاومـــة الشعبية ، وبطارية مدافع صاروخية •

وعلى كل حال ، فان هذه القوات تبعثرت ــ كما يقول حمروش ــ عندما نزلت القوات البريطـانية فى مطار الجميل ، وذلك نتيجة لانهيار القيـادة المسئولة ثم هربها الى بورسعيد ! وقد تم فصل الضباط الأربعة المسئولين من الجيش بعد انتهـــاء المعـــركة •

وعندما تشتتت القوات طلب الضباط الصغار من شمس بدران ، مدير مكتب عبد الحكيم عامر الذى كان يفتش على الحرس الوطنى فى المنصورة ، الســـماح للشيوعيين بالدخول الى بورسعيد لأنهم أقدر على فهم نفسية الجماهير ، وقد وافق على ذلك ، ورفع الحظر بعدها عن تحركات الشيوعيين • وكان رجال المباحث العامة خلال القتـــال يراقبون تحركات الشيوعيين، فى الوقت الذى هرب فيه قائد المباحث العامـــة من بورسعيد ، وسلم البوليس أسلحتهم كاملة •

وكان أفراد الشعب فى بورسعيد قد طالبوا منذ اللحظـــة الأولى للعدوان الاسرائيلى ، بالســـلاح ، ولكن تعطل ذلك حتى

يتم تحت اشراف المباحث العامة بشكل روتيني ومظهرى وغير فعال ! ولكن مع هبوط جنود المظلات وصل قطار محمل بالذخيرة والسلاح الى محطة بورسعيد ، وبدأ توزيع السلاح على الأهالى دون نظام • ولما كان السلاح فى الشحم ، والناس غير مدربة أو منظمة ، تتحرك وراء أى صوت يدعوها للهجوم على العدو فى أى مكان ، فان ذلك قلل من فاعليتها ، وعرضها لبعض الخسائر •

وهكذا كانت المقاومة الشعبية هى التى تقاتل فى بورسعيد فى حين توقف الجيش عمليا عن القتال بعد انسحابه من سيناء واعداده للدفاع عن مدينة الاسماعيلية تحت قيادة كما الدين حسين • ومعنى ذلك أن المقاومة الشعبية ، وليست القوات المسلحة ، هى التى أعطت بورسعيد وجهها الايجابى كمدينة للبطولة والصمود •

❋❋❋

على كل حال ، ففى الوقت الذى كانت قوات العدو تحتل بورسعيد ، كانت قوات اسرائيل قد تمكنت من احتلال سيناء كاملة ، ووصلت الى شرم الشيخ الذى هو أكبر أهدافها ، لتفتح أخطر صفحة فى الصراع العربى الاسرائيلى ، وأكثرها دموية !

وكانت خطة الدفاع عن شرم الشيخ قد بنيت على مواجهة احتمالات حصار طويل ، وليست على أساس اقامة تحصينات ووسائل قتال لصد المهاجمين . ويفسر ديان ذلك بأن القيادة المصرية كانت قد أخذت فى الحسبان أن اسرائيل سوف تحاول احتلال مضيق تيران بطريق الجو والبحر ، ولم تكن تتوقع هجوما من جانب قوات جيش يأتى بطريق البر . لذلك قام التركيز الأساسى لخطة دفاع شرم الشيخ على حفر مستودعات تحت الأرض ، وتخزين المياه والأغذية والوقود والذخيرة لشهور عديدة ، كما بنى ميناء عميق وشق مطار وأقيمت محطة كهربائية . ولكن الحفر والتلغيم والتسوير والمراكز المسيطرة على الداخل لم تكن قوية الى حد تستطيع فيه مواجهة هجوم شديد من الجنوب أو من الشمال .

وقد أعدت اسرائيل لاحتلال شرم الشيخ لواء مشاة ، قطع مسافة ثلثمائة كيلو مترا ! ليفاجىء القوات المصرية من البر ! وقد تحرك هذا اللواء ، وهو اللواء التاسع ، من بير سبع فجر يوم ٣١ أكتوبر واستغرق ثلاثة أيام لكى يصل الى شرم الشيخ . فقد وصل الى رأس النقب يوم أول نوفمبر ، وفى اليوم التالى ٢ نوفمبر تحرك من رأس النقب متجها الى الجنوب على طول الساحل الغربى لخليج العقبة ، ولم تكن معه قوات مدرعة ، ولذلك قامت القيادة الاسرائيلية بتعزيزه بوحدات من

لواء المظلات كى تهاجم موقع شرم الشيخ من الجنوب فى مقابل هجوم اللواء من الشمال • وقد وصلت هذه الوحدات بالمركبات على طريق رأس السدر ـ أبو زنيمة ـ فى الوقت الذى نزلت وحدة ثانيــة من المظليين فى مطار الطور واستولت عليه ، وكان من المتوقع أن تصل قوات المظليين من رأس الســدر الى شرم الشيخ فى وقت واحد مع قوات اللواء التاسع مشاة •

على أنه فى ذلك الحين كانت القيادة المصرية قد أصــدرت أوامرها بالانسحاب العام من سيناء ، وشمل هذا الأمر بالفعل موقع شرم الشيخ !

- ١٠ (*) -

في مقالنا السابق كنا قد أبرزنا التناقض الحاد بين موقف قيادة ثورة يوليو من الغزو وموقف الشعب المصري • ففي حين انهارت القيادة العسكرية في وجه العدوان الثلاثي وتخاذلت ، فقد صمد الشعب المصري في وجه الخطر واستهان بالغارات الجوية ! وهو ما يعني أن المنتصر الحقيقي في معركة ١٩٥٦ كان هو الشعب المصري ، رغم أنف قيادته العسكرية ! وقد ضربنا أمثلة لذلك من واقع مذكرات عبد اللطيف البغدادي ، فقد كانت الصيحة التي أطلقها الشعب المصري في ذلك الحين هي صيحة : « حنحارب » ، وكانت أغنيات : « والله زمان يا سلاحي » ، « والله أكبر » تتردد في كل مكان •

أما النقطة الثانية التي أبرزناها فهي معركة بورسعيد ! ففي حين تخاذلت القيادة العسكرية وتبعثرت القوات المصرية نتيجة لهرب القيادة المسئولة من بورسعيد ، وهو ما أدى

(*) الوفد الموافق ٢٦/١٠/١٩٩٥ •

الى فصل الضباط الأربعــة الذين تولوا هذه القيادة من الجيش بعد انتهــاء المعركة ــ بقيت المقاومــة الشعبية لتخــلد بطولة بورســعيد •

ويمكن القول ان المعركة الوحيدة التى حارب فيها الجيش المصرى كانت هى معركة شرم الشيخ • فلقد رأينا كيف أعدت القيادة الاسرائيلية لاحتلالها لواء مشاة ، قطع ثلثمائة كيلو مترا لكى يفاجئها من البر ، بعد أن كانت تتوقع الهجوم من الجو • وقد وصل هذا اللواء يوم ٤ نوفمبر ١٩٥٦ وتبدت أمامه المواقع المصرية فى رأس نصرانى وشرم الشيخ •

فى ذلك الحين كانت القيادة المصرية قد أصدرت أوامرها بالانسحاب العام من سيناء فى مساء الأربعاء ٣١ أكتوبر • وقد شمل هذا الأمر بطبيعة الحال موقع شرم الشيخ ، على أن هذا الأمر تعذر تنفيذه بالنسبة لهذا الموقع ، نظرا لعدم كفاية وسائل النقــل لدى تلك القوة ، وهو ما دعــا قائــدها الى اقتراح بقائها والدفاع عن الموقع حتى تصل اليه وحدات النقل •

على أنه فى تلك الأثناء كانت القوات الاسرائيلية قد أتمت حصارها لموقع شرم الشيخ عن طريق احتلال الطور ، فسدت بذلك الممر البرى من مضيق تيران الى مصر • وبذلك لم يجد قــائد القوة بدا من اخلاء رأس نصرانى وتركيز قواته فى شرم الشيخ، رغم مزايا خط رأس نصرانى فى تحصيناته وفى الدفاع المضاد

للطائرات الذى كان متفوقا على ذلك الذى كان فى الخط الثانى شرم الشيخ • فقد كان الميناء والمطار يقعان فى شرم الشيخ • ولكن قبل انسحاب القوة المصرية من رأس نصرانى ، قامت بنسف المدافع الساحلية التى تسيطر على المضيق بين الساحل وجزيرة تيران والتى كانت تمنع مرور الملاحة الاسرائيلية الى ايلات •

على أنه فى تلك الأثناء كانت السفن البريطانية قد تجمعت فى مدخل خليج العقبة لفرض الحصار البحرى على شرم الشيخ • وفى الوقت نفسه أخذت القوات الجوية المعادية فى شن غاراتها على الموقع • وبذلك تكون القوة المصرية فى شرم الشيخ قد تم حصارها برا وبحرا وجوا • وهذا ما أبرق به قائد هذه القوة الى القيادة العامة فى مصر يوم ٣ نوفمبر سنة ١٩٥٦ •

وقد كان على اللواء الاسرائيلى فى ذلك الحين اما الهجوم على شرم الشيخ فى عملية ليلية ، واما القيام بذلك مع الفجر • وقد تغلب رأى العملية الليلية حتى لا تتاح الفرصة للوحدة المصرية التى نقلت من رأس نصرانى الى شرم الشيخ فى الليلة السابقة ، للاستعداد •

وعلى ذلك بدأ هجوم اللواء الاسرائيلى بقوة كتيبة بعد منتصف الليل لاحتلال موقع تحتله سريتان مصريتان فى الجانب

الغربى من الخط . ولكن القوة الاسرائيلية لم تنجح فى فتح ثغرة فى حقل الألغـام ، فى الوقت الذى تعرضت فيه لنـيران رشاشات القوة المصرية . وفى خلال وقت قصير تكبدت القوة خسارة ٢٢ مصابا و ٦ من قادة الجماعات وقتيل واحد . وبذلك فشل الهجوم الليلى ، واضطرت القوة الى الانسحاب .

على أن الهجوم الاسرائيلى استؤنف مع أول ضـوء النهار فى اليوم التالى ، بمساعدة نيران الهاونات الثقيلة عيار ١٢٠ مم ، واشتراك سـلاح الطيران الاسرائيلى والعربات نصف المجنزرة ، فى الوقت الذى كانت هنـاك كتيبة أخرى تهاجم فى الجـانب الشرقى . واستمر القتال حتى الساعة التاسـعة صباحا حين استسلم آخر موقع للمصريين فى شرم الشيخ .

وقد اعترف موشى ديان بأن « العنصر الحاسم فى هـذا التسليم من جانب القوة المصرية كان السـلاح الجوى . فلم يكن لدى المصريين سلاح فعال ضد الطائرات الاسرائيلية » . وهذا ما يؤكده العميد محمد كمال عبد الحميد . فقد ذكر انه « لم يكن مع القوة المصرية مدفع واحد مضاد للطائرات يصلح للاشتباك معها » ! ووصف الغارات الجوية على قوة شرم الشيخ بأنها « كانت اكتساحات عنيفة مركزة » .

وقد اعترف بن جوريون بما أبدته القوة المصرية فى شرم

الشيخ من بسـالة نادرة . ففى خطـابه أمام الكنيست يوم ٧ نوفمبر قال : « لقد أبدى المصريون شجاعة عظيمة عجيبة حتى لقد كان من الصعب علينا أن نتصـور أو نصدق أنه فى امكاننا القضاء عليها . وسقطت منا فى هذه المعركة الرهيبة ضحايا غالية جدا علينا . لقد كانت أيامنا فى هذه المعركة أيام فزع وذعر أمام هول القوة المصرية » .

وهذا يفسر تلك الحقيقة التاريخية فى معركة ١٩٥٦ ، وهى أن معركة شرم الشيخ كانت هى المعركة المستمرة الوحيدة التى ظلت دائرة مع قوات العدوان الثلاثى حتى وقف اطلاق النار .

ومع ذلك فمن الطريف أن هذه المعركة الباسلة التى شرفت العسكرية المصرية وقعت رغم أنف القيـادة العسـكرية ! ففى ليلة المعركة وصلت الى قائد قوة شرم الشيخ اشارة من القائد العام للقوات المصرية يقول فيها : « اذا لم يمكنك الاستمرار فى المقاومة حتى أول ضـوء ، فانى آمرك بأن تسلم . تخلص من جميع الأسلحة حتى البنادق والطبنجات ، ولو بالقائها فى البحر . تدمر جميع المنشآت اذا أمكن » !

على أن القائد المصرى آثر القتال على التسليم ، مسطرا الصفحة الوحيدة المضيئة فى الحرب بين القوات المصرية والقوات الاسرائيلية فى حرب ١٩٥٦ !

على أن احتلال اسرائيل لشرم الشيخ في يوم ٥ نوفمبر سنة ١٩٥٦ كان أكبر كارثة لحقت بمصر حتى ذلك الحين ، وثمنا باهظــا لقرار تأميم شركة قناة السويس الذى اتخذه عبد الناصر منفردا بطريقــة استعراضية دون أن يعد له أية عدة عســكرية لحمايته ، ومورطا جيشه في حرب غير متكافئة مع قوات دولتين عظميين مع اسرائيل ، بكل ما ترتب على هــذه الحرب من تدمير كل ما تزود به الجيش من ســلاح جديد ، وضياع مغزى صفقة الأسلحة الروسية التى هزت الأمة العربيــة هزا ! وان كان دمار الأسلحة الســوفيتية فى حرب ١٩٥٦ كان ارهاصا بدمــار كل الأسلحة السوفيتية التى تلقتها مصر من الاتحاد السوفيتى فى يونية ١٩٦٧ !

فعلى الرغم من أن تدخل الأمم المتحدة فى ذلك الحين كان قد أفلح فى اصــدار قرار يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ بوقف اطــلاق النار ، كمــا أدى الى انشــاء قوة طوارىء دوليــة فى يوم ٤ نوفمبر « لضمان وقف الأعمال الحربية » والاشراف عليها ، وأدى أيضا الى قبول كل من بريطانيا وفرنسا وقف اطلاق النار وسحب قوات العدوان لدى وصول القوات الدولية فان اسرائيل رفضت تنفيذ القرار الا بعد مرور الملاحة الاسرائيلية عبر مضيق تيران وخليج العقبة ، كجزء متمم لترتيبات وقف اطلاق النار .

ففى لقاء جولدا مائير وزيرة خارجية اسرائيل مع ليستر بيرسون وزير خارجية كندا ، أكدت للوزير الكندى « أننا لن نسمح للمصريين بالعودة الى احتلال الجزء الذى يسيطر على مداخل خليج العقبة . وقد احتللنا هذه الجزر لنبقى على بوابة ميناءنا الجنوبى الحيوى ايلات ، مفتوحة أمام تجارتنا » . وتساءلت : « ما الذى يدفعكم الى الضغط علينا للانسحاب ؟ ليس ثمة ما يضمن لنا أن يسمح عبد الناصر للملاحة الاسرائيلية بعبور القناة ، أو يضمن لنا فتح الطريق أمام الملاحة الاسرائيلية الى ايلات عبر خليج العقبة » .

وعلى ذلك فقد أخذت اسرائيل تؤخر انسحابها حتى تكسب ضمانات بحق مرور سفنها عبر خليج العقبة . فطبقا لتقرير السكرتير العام للأمم المتحدة يوم ١٥ يناير ١٩٥٧ عن انسحاب القوات الاسرائيلية فى تاريخ ١٤ يناير ١٩٥٧ ، أعلن أنه تسلم من الحكومة الاسرائيلية خطابا يفيد أنها فى ٢٢ يناير ١٩٥٧ ستكون قد أتمت سحب جميع قواتها من شبه جزيرة سيناء ، ما عدا منطقة شرم الشيخ !

على أنه فى يوم ٢٣ يناير ١٩٥٧ أعلن بن جوريون فى الكنيست أن اسرائيل لا تفكر فى احتلال سيناء بصورة دائمة ، ولكنها تريد فقط الضمانات الكافية والناجعة بعدم عرقلة حرية

الملاحة الاسرائيلية والدولية • وقال ان حرية الملاحة الاسرائيلية فى مضايق تيران والبحر الأحمر يمكن تأمينها : اما بتوقيع اتفاق يضمن حرية الملاحة الاسرائيلية بين اسرائيل والدول العربية الواقعة على خليج العقبة ، وهى الأردن والسعودية ومصر ، واما ببقاء القوات الدولية فى شرم الشيخ لتأمين حرية الملاحة ، وبحيث لا تغادر المنطقة الا بعد التوصل الى تسوية شاملة بين مصر واسرائيل ، أو التوصل الى تسوية خاصة بحرية الملاحة فى الخليج توافق عليها اسرائيل •

وقد استطاعت اسرائيل فى ١١ فبراير الحصول من الولايات المتحدة على تصريح بأن مضيق تيران وخليج العقبة يعتبران ، من وجهة النظر الأمريكية ، مياها دولية ، الى أن تقرر العكس هيئة قضائية دولية •

وفى الوقت نفسه أبلغت اسرائيل السكرتير العام للأمم المتحدة « أننا لن نسمح ثانية للمدافع المصرية فى مضايق تيران بمنع سفننا من عبور خليج العقبة ، وأننا سنشق طريقنا بالقوة • وأكدت استعداد اسرائيل لخوض حرب ثانية اذا فرضت عليها عقوبات اقتصادية بسبب الامتناع عن الانسحاب من شرم الشيخ » •

عندئذ اقترح السفير الكندى ليستر بيرسون على هامرشولد

تطوير مهمة قوات الطوارىء الدولية ، من مجرد الاشراف على وقف اطلاق النار والانسحاب بعد ذلك ، الى مهمة دائمة • وقد قبل هامرشولد دخول قوات الطوارىء الدولية شرم الشيخ للحفاظ على السلام والأمن بعد انسحاب القوات الاسرائيلية ، ولكنه رفض اعطاء ضمانات لاسرائيل بحرية الملاحة فى خليج العقبة لمخالفة ذلك لمهمة القوة الدولية •

ولقد كان بسبب رفض اسرائيل الانسحاب من شرم الشيخ بدون ضمانات بحرية ملاحتها ، ورفض هامرشولد اعطاء هذه الضمانات ، أن دخلت هذه القضية فى مأزق خطير •

- ١١ (*) -

رأينا فى مقالنا السابق كيف رفضت اسرائيل الانسحاب من شرم الشيخ بدون أن تحصــل على ضمانات بحرية ملاحتها فى مضــيق تيران بين مينــاء ايلات والبحر الأحمــر . ولكن هامرشولد ، السكرتير العام للأمم المتحدة رفض اعطــاء هــذه الضمانات لأنها تتجــاوز امكاناته . وبذلك دخلت القضية فى مأزق خطير .

فقد كان الجيش المصرى محطما فى ذلك الحين ، بما يعنى أنه لم يكن فى وســع مصر اجبار اسرائيل على الانسحاب من شرم الشيخ ، وفى الوقت نفسه كانت اسرائيل قد حصلت من الولايات المتحدة على تصريح بأنها تعتبر مضيق تيران وخليج العقبة مياها دولية الى أن تقرر العكس هيئة قضــائية دولية . وكانت فرنسا تحرض اسرائيل على البقــاء فى سيناء وتعرض استعدادها لمساعدتها اذا تطلبت الظروف !

(★) الوفد الموافق ٢٣/١٠/١٩٩٥ .

لذلك لم يجد عبد الناصر بدا من الاذعان لمرور الملاحة الاسرائيلية فى مضيق تيران . ويقول أحمد حمروش أنه تحت مظلة الأمم المتحدة ، وبحضور وموافقة وزراء خارجية مصر واسرائيل والولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ، تقرر الجلاء للجميع مع الشروط الآتية :

أولا — وضع ستار دفاعى من قوات الأمم المتحدة على الحدود بين القوات المصرية والاسرائيلية .

ثانيا — فتح مضيق تيران المسيطر على ميناء ايلات ، للملاحة والتجارة الاسرائيلية .

ثالثا — اخلاء شرم الشيخ لهيئة الرقابة الدولية .

رابعا — الاتفاق على أنواع محددة من الأسلحة لا تتعدى حدودا مرسومة جهة الشرق .

على أنه من الواضح أنه اذا كان مثل هذا الاتفاق قد تم ، فانه لم يكن اتفاقا رسميا مكتوبا ، والا لعرفه الشعب المصرى ! فتقول « جولدا مائير » فى مذكراتها انه كان « اتفاقا شفويا » ، وقد تم به التوصل الى حل يقوم على أن تنسحب القوات الاسرائيلية من قطاع غزة ومن شرم الشيخ ، فى مقابل « افتراض » ان الأمم المتحدة سوف تضمن للملاحة الاسرائيلية

حق المرور فى مضيق تيران ، وعدم عودة الجنود المصريين الى قطاع غزة !

وبناء على ذلك أعلنت جولد مائير فى الساعة الثالثة من بعض ظهر يوم أول مارس فى الجمعيــة العمومية ، أن اسرائيل ، « نظرا لبعض التوقعات والافتراضات ، ستنسحب بسرعة من قطاع غزة وشرم الشيخ » •

وقد تضمن خطاب جولدا مائير أن هدف اسرائيل الوحيد هو اقرار حرية الملاحــة لها وللدول الأخرى فى خليج العقبــة ومضيق تيران بعد انسحــاب القوات الاسرائيليــة • وأبرزت الأهمية القومية الحيوية لحرية الملاحة بالنسبة لاسرائيل ، وقالت ان اقتصادها واقتصاد دول بحرية عديدة يتوقف على التجــارة والملاحة بين البحرين الأحمر والمتوسط •

ولم يحل الرابع من مارس حتى كان ديان قد سلم منطقة شرم الشيخ وقطاع غزة • وفى ٢٧ مارس ١٩٥٧ أعلنت اسرائيل أنها سوف تمارس حقها فى الملاحة فى مياه خليج العقبة ومضايق تيران ، وأنها لا تجد مبررا للالتجاء الى محكمة العدل الدولية لاستطلاع رأيها القانونى فى الطابع الدولى لقنــاة الســويس ومضيق تيران !

ومعنى ذلك أن اسرائيل اعتمدت على الأمر الواقع الذى فرضته قوتها العسكرية فى فرض حرية ملاحتها فى مضيق تيران، بدليل أنه عندما أغلق عبد الناصر مضيق تيران فى مايو ١٩٦٧ لم تلجـأ الى محـكمة العـدل الدولية ، وانما فتحت المضيق بالحـرب !

وهذا ما قررته اسرائيل بعد نصف شهر من انسحابها من شرم الشيخ . ففى يوم ١٠ مايو أعلنت جولدا مائير أن أى تدخل ضد السفن التى تحمل العلم الاسرائيلى والتى تمـارس حق « المرور البرىء » فى خليج العقبة ومضيق تيران ، سيعتبر فى نظر اسرائيل اعتداء يسمح لاسرائيل بأن تستخدم ضـده حق الدفاع المشروع الذى نص عليه ميثاق الأمم المتحدة » !

وهكذا أعطى قرار عبد الناصر غير المحسوب بتأميم شركة قناة السويس ، لاسرائيل أكبر مكسب حصلت عليه منذ احتلالها ميناء أم الرشراس فى مارس ١٩٤٩ الذى حولته الى ميناء ايلات ، فقد أتاح لها أن تتمتع ـ لأول مرة ـ بمزايا موقعها على بحرين : البحر المتوسط والبحر الأحمر .

وهو ثمن باهظ حقا ، لأن حصـول اسرائيل على حق مرور ملاحتها التجارية من مضيق تيران هو الذى جعل منها دولة كبرى تحتل أراضى ثلاث دول عربيـة ، بعد أن كانت قبل قرار تأميم

شركة قناة السويس مجرد دولة صغيرة تحاصرها مصر بحريا عن طريق اغلاق منافذها الشمالية الى البحر الأحمر : وهى خليج العقبة ، وقناة السويس •

فحتى ذلك الحين ، وعلى الرغم من أن الملاحة الاسرائيلية كانت تستطيع المرور من باب المندب ، الا أن هذا المرور لم يكن يجديها بحال ، طالما أن سفنها لا تستطيع الوصول الى ايلات ، وطالما أنها تضطر الى الدوران حول افريقيا • لذلك كانت سيطرة مصر على خليج العقبة وقناة السويس كافية فى حد ذاتها لحرمان اسرائيل من المرور فى البحر الأحمر ! وكان الوجود المصرى فى شرم الشيخ كافيا لالغاء الوجود الاسرائيلى فى ايلات •

ولذلك يعتبر هذا الاذعان من جانب عبد الناصر لمرور الملاحة الاسرائيلية من خليج العقبة أكبر اذعان لميزان القوى ، وهو أشبه باذعان لينين لشروط ألمانيا فى برست ليتوفسك فى الحرب العالمية الأولى ، مع فارق وحيد هو أن اذعان لينين كان نقطة البداية فى بناء الاتحاد السوفيتى كاحدى القوتين العظميين فى العالم ، ولكن اذعان عبد الناصر كان نقطة البداية فى سلسلة من الأخطاء التى أدت الى كارثة أعظم ، هى كارثة هزيمة يونية ١٩٦٧ ، التى انتهت باحتلال اسرائيل أراضى ثلاث دول عربية وهى مصر والأردن وسوريا !

وقد كان أول هذه الأخطاء هو اخفاء جهـاز عبد الناصر الاعلامى هذا الجانب الاستسلامى فى نتائج حرب ١٩٥٦ ، عن الشـعب المصرى ، حتى انه لم يعلم بمسألة فتح مضيق تيران للملاحة الاسرائيلية الا بعد احدى عشرة سنة عندما أمر عبد الناصر باغلاق مضيق تيران يوم ٢٢ مايو ١٩٦٧ ! وعندئذ تساءل الشعب المصرى : وهل كان هذا المضيق مفتوحا من قبل ؟

ولكن الدول العربية كانت تعلم ــ بطبيعة الحال ــ بفتح المضيق للملاحة الاسرائيلية ، ومرور هذه الملاحة فى ظل حماية البوليس الدولى ، وكانت تعاير مصر بذلك على نحو مثير .

ففى أثناء رحلة المشير عبد الحكيم عامر الى باكستان فى ديسمبر ١٩٦٦ ، وكان يصاحبه فى هـذه الرحلة كل من شمس بدران وصـلاح نصر ، تصـادف أن مجلس دفاع الجامعـة العربيـة كان مجتمعـا بناء على توصية مؤتمر القمـة ، وكان الاجتماع فى مصر ، وكانت الدول العربية المعادية لمصر مركزة حملاتها على أن مصر واضعة البوليس الدولى لحمايتها . وقد أثارت هذه الحمـلات الصحفية المسعورة المشـير الذى فكر وقتذاك فى سحب البوليس الدولى ، واحتلال شرم الشيخ ، وأرسل اشارة للرئيس عبد الناصر بذلك ، ولكن عبد الناصر لم يقتنع وقتها .

والغريب أنه عندما اقترح المشير عامر وقتذاك سحب القوات الدولية من شرم الشيخ ، لم يكن فى خاطره اغلاق مضيق تيران ، وانما كان مجرد سحب القوات الدولية واحتلال شرم الشيخ « واحنا عندنا كتائب جاهزة » !

فعندما قال شمس بدران للمشير عامر ان سحب القوات الدولية من شرم الشيخ ، سوف يستتبعه قفل الخليج ، ويمكن تقوم حرب ! رد المشير قائلا : « لا ، أنا مش قصدى منع الملاحة ، وانما احتلال شرم الشيخ حتى لا نعطى الفرصة لأى أحد يتكلم » ! فقلت له : « الكلام عندئذ حيبقى عن قفل الخليج ! والا فان الحملة المسعورة حتزيد » !

وفى كلام شمس بدران أمام المحكمة قال ان المشير قال له : « احنا حنحتل شرم الشيخ بس ، موش هانقفل الخليج » . قلت له : « لا ، دى تبقى نص حل » !

وهو ما يبين عجزا غريبا من قائد القوات المسلحة المصرية فى ذلك الحين عن ادراك الرابطة بين سحب القوات الدولية واغلاق مضيق تيران فى وجه الملاحة الاسرائيلية فى البحر الأحمر !

بل أن عبد الناصر لم يدرك هذا الارتباط بين سحب القوات الدولية واغلاق مضيق تيران الا متأخرا ! فقد كان طلبه

فى البداية سحب القوات الدولية من المنطقــة المحصورة بين الكونتــلا ورفح فقط ، مع استمرارها فى قطــاع غزة وفى شرم الشيخ ، اذ كان المفهوم العسكرى المصرى فى ذلك الحين يقوم ــ كمــا ذكر الفريق محمد فوزى ــ على أن شرم الشيخ ليست هى الحدود الشرقية للجمهورية العربية المتحدة !

على أنه عندما أجريت الاتصــالات المبدئيــة مع قــوات الطوارىء الدولية ، رفضت قيادتها الانسحاب الجزئى ، وأصرت على تنفيذ مهمتها بالكامل ، أو التخلى عنها بالكامل ! وعندئذ قرر عبد الناصر سحب القوات الدولية بالكامل من جميع المراكز التى تتواجد فيها ، ســواء فى القطاع الخاضع للادارة المصرية فى فلسطين ، أو فى سيناء !

وكان قرار عبد الناصر فى هذا الشأن غير مدروس نتائجه شأنه فى ذلك شأن قرار تأميم قناة السويس . فلم يكن يعلم أن انهاء وجود قوات الطوارىء الدولية من شرم الشيخ سوف يعيد قضية الوجود المصرى فى شرم الشيخ ، بكل ما يترتب على ذلك من ضرورة اغلاق خليج العقبة فى وجه الملاحة الاسرائيلية ! .

ولذلك يقول الفريق عبد المحسن مرتجى : « الغريب فى الموضوع ، وبسبب الارتجال والتسرع وعدم وضــوح الرؤية، وعدم الاستقرار على الهدف ــ وهى الأمور التى شابت عمل

القيادة السياسـية العسـكرية العليا ، منذ بدأت هذه الأزمة المفتعلة ، أنه بعد أن أرسلت الرسالة التى تقرر سحب هـذه القوات ، جرت محاولة لتأجيل تسليمها ! لاتاحة فترة من الوقت حتى يتكشف الموقف ! ــ على حد قول القيادة ــ الا أن هذه المحاولة فشلت ، فقد سلمت الوثيقة قبل وصـول اخطار ايقاف تسليمها . وهكذا أصبحت مصر أمام الأمر الواقع ، وعليها أن تسير الى آخر المطاف » .

وبطبيعة الحال فان نهاية المطاف كان هزيمة يونية ١٩٦٧ ! وان كان ذلك قصة أخرى ، ولكن المغزى الذى نريد أن نبرزه هو أن مصر كانت واقعة فى براثن قيادة سياسـية وعسـكرية تتخذ قرارات غير مسئولة تستهدف استعراض قوة يعلم العدو أنها لا تملكها ! وتتكلم بكلام ثورى يشد الجمـاهير المصرية والجماهير العربية معها ، دون أن تسند هذا الكلام بقوة فعليـة تحوله الى حقيقة واقعة تفرضـه على العالم . وقد ترتب على ذلك أنها دفعت البلاد الى كارثة الهزيمة وسط تصفيق وهتاف الجماهير ! والمشكلة أن هذه القيادة تجد فى مصر اليوم أصواتا قوية تضفى عليها هالات البطولة والثورية !

- ١٢ (*) -

كان وصول اسرائيل الى البحر الأحمر هو الثمن الباهظ الذى دفعته مصر لقرار تأميم شركة قناة السويس ، الذى رأينا كيف اتخذه عبد الناصر بناء على حسابات خاطئة وبدون أى استعدادات مسبقة لمواجهة نتائجه • ومع ذلك فان هذا الثمن الباهظ الذى دفعته مصر لم يكن كل الثمن الذى كان عليها أن تدفعه لو كان العدوان الثلاثى قد وقع فى القرن التاسع عشر ، كما حدث فى ظروف الاحتلال البريطانى لمصر الذى استمر لمدة أربعة وسبعين عاما ، وكلف مصر تضحيات مادية وبشرية جسيمة •

فاذا كان عبد الناصر قد أوقع مصر فى حرب مع ثلاث دول لم يحسب لها أى حساب ، ولم يرسم ـ بالتالى ـ طريقا للانتصار فيها ، فقد تقدمت عناصر كثيرة فى ذلك الحين لانقاذ مصر من احتلال طويل تهدر فيه كل ما حققته من تقدم على طول نصف قرن وتعود فيه الى ظلام الاستعمار من جديد •

(*) الوفد الموافق ١٩٩٥/١٠/٣٠ •

ومن المحقق ــ تاريخيا ــ أن صمود الشعب المصرى كان أول هذه العناصر التى بنيت عليها كل العناصر الاخرى • فقد سبق أن ذكرنا كيف قابل الشعب المصرى الغزو باستهانة وهدوء وثبات ، فى الوقت الذى كانت قيادته العسكرية تنهار وتتخبط !

ومن حسن الحظ أن الشعب كان مخدوعا وقتذاك فى قدرة قيادته السياسية على الخروج به من مأزق العدوان الثلاثى ! فقد أعطت صفقة الأسلحة السوفيتية وقرار تأميم شركة قناة السويس لعبد النــاصر من التقدير ما رفعه الى مقام زعيم وطنى كبير ، وجعله موضع ثقة الشعب المصرى •

وكان عبد الناصر ــ قبل انهياره النفسى ، الذى تملكه فيه الاحساس بأنه أضــاع البلد وبأن جيشه قد هزمه ــ قد أطلق شرارة المقاومة فى الشــعب المصرى بخطابه الشهير فى الأزهر الشريف ، الذى خاطب فيه الشعب المصرى باللغة الوحيدة التى يفهمها هــذا الشعب العريق ، فقد أعلن أن الانذار البريطــانى الفرنسى « لا تقبله العزة ولا الشرف ولا الكرامة » ، وأكد أنه « أهون علينــا أن نموت دون أن نقبل طوعا احتلال فرنســا وبريطانيا جزءا من أراضينا ، فشرف الوطن كتلة واحدة » ، ثم قال : « سنقاتل فى كل مكان ، ولن نسلم ، وسيكون شعار كل فرد منا فى القوات المسلحة والشعب : سنقاتل ولن نسلم » •

منذ ذلك الحين قرر الشعب المصرى الصمود والقتال ، لا لأنه كان يؤمن بانه يستطيع الانتصار على جيوش ثلاثة دول ، هى : فرنسا وبريطانيا واسرائيل ، وانما لأن هـذا القتـال هو ما يقتضيه الشرف : شرف الوطن وشرف الشعب •

والمثير فى هذا الصدد هو أنه كما أن عبد الناصر أطلق شرارة المقاومة فى الشعب بخطاب الجـامع الأزهر ، فان الشعب كان له الفضـــل فى انتشال عبد الناصر من وهدة اليأس والقنوط بعد رحلته الحزينـة الى الاسماعيلية مع عبد اللطيف البغدادى، الذى شاهد فيها جيشه محطما على قارعة الطريق • فقد اعترف البغـــدادى بأن ما شـــاهده وعبد الناصر من ثبات الشـــعب واستهانته بالخطر فى الاسماعيليـــة ، أعـــاد الأمل بعد يأس فى قلب عبد الناصر ورفع معنوياته •

ويمكن القول ان الشعب المصرى الذى خاض معركة ١٩٥٦ كان هو الشعب المتمرس على النضـــال على يد الوفد على مدى ربع القرن السابق على ثورة يوليو ، والذى تعود على المعـــارك ضد الاحتلال البريطـــانى مستهينا بقواته التى كانت تربض على أرض الوطن • ومن هنالك لم تشكل أزمة العدوان الثلاثى بالنسبة له شيئا جديدا ، وانما رأى فيها مرحلة جديدة من مراحل النضال الوطنى ضد الاستعمار والاحتلال •

وهذا يفسر أنه فى حين تخاذلت قيادات يولية العسكرية ، فان القوى الشعبية المتمرسة بالنضال قبل يولية تقدمت لتحمل علم النضال •

وقد كان صمود الشعب المصرى هو أساس انقاذ مصر ، فقد كان له تاثيره الكاسح فى جذب تأييد حركة تضامن الشعوب الاسيوية والافريقية ، التى برزت بعد الحرب العالمية الثانية نتيجة ما تمخضت عنه هذه الحرب من استقلال عدد كبير من الدول الاسيوية الافريقية ، مثل الهند ، وباكستان ، وأندونيسيا ، والصين ، وبورما ، وسيلان ، والحبشة ، وسوريا ، ولبنان • وكانت هذه الحركة قد اتجهت الى اتخاذ سياسة مستقلة عن الكتلتين الكبيرتين المتصارعين اللتين نشأتا بعد الحرب ، وهما الكتلة الشرقية والكتلة الغربية ، وهو ما ظهر فى اتخاذ حكومة الوفد موقف الحيادة فى الحرب الكورية وقد عرفت حركة هذه الشعوب باسم حركة الحياد الايجابى ، ونجحت فى اقامة مؤتمرها الكبير فى باندونج فى أبريل سنة ١٩٥٥ ، الذى حضرته وفود ٢٢ دولة ، ومن بينها مصر •

فبسبب اعتناق عبد الناصر مبادىء باندونج ، أمكن لمصر الاستفادة من امكانات الشعوب المعادية للاستعمار والأحلاف عندما وقع العدوان الثلاثى ، فقد أصبحت هذه الشعوب بعد باندونج قوة فعالة داخل الأمم المتحدة ، يرتفع صوتها بالتنديد

بالاستعمار والتدخل العسكرى الأنجلو فرنسى الاسرائيلى • وقد لعبت الهند دورا قويا فى هذا الصدد •

لقد أدركت هذه الشعوب أنه اذا نجح العدوان الثلاثى فى تحقيق أهدافه ، لن تقع على مصر وحدها نتائجه ، بل ستقع هذه النتائج على رأس جميع الشعوب التى تريد تحرير اقتصادها من القبضـــة الامبريالية ، اذ ستتعرض لعـــدوان مماثل يقضى على استقلالها • ومن هنا شعر كل شعب من هذه الشعوب بأن معركة الشعب المصرى ضد العدوان الثلاثى هى معركته بنفس الدرجة •

أما العنصر الثـــالث فى انقاذ مصر ، فهو الغضـــب الذى اشتعل فى جميع أنحاء العالم العربى بسبب العدوان الثـــلاثى ، نتيجة شعور الشعوب العربية بأن سقوط مصر يعنى تساقطها جميعا على المدى القريب • ومن هنا قطعت كل من المملكة العربية السعودية وسوريا علاقاتهما بكل من فرنسا وبريطانيا • كما قطعت كل من الأردن والعراق علاقاتهمـــا بفرنســـا • واشتعلت المظاهرات فى كل بلد عربى احتجاجا على العدوان ، وقام الضباط القوميون فى ســـوريا ، بقيـــادة عبد الحميد السراج ، بنسف محطة ضخ تابعة لخط أنابيب شركة بترول العراق ، للتأثير فى امدادات الغرب البترولية •

أما العنصر الرابع فيتمثل فى تأييد المعسكر الاشـــتراكى لمصر وقت العدوان • ففى ذلك الحين كانت سياســـة عبد الناصر

فى مقاومة الأحلاف العسكرية ، قد وضعته فى خط واحد مع الدول الاشتراكية التى كانت هذه الأحلاف موجهة اليها أساسا. وكان قد ارتبط بالفعل بهذا المعسكر بعد صفقة الأسلحة الروسية ، ثم جاءت موافقة الاتحاد السوفيتى على تمويل السد العالى من حيث المبدأ ، بعد سحب أمريكا وبريطانيا والبنك الدولى العرض بالتمويل ، لتؤكد هذا الارتباط ، ومن هنا قام عبد الناصر بالاعتراف بالصين الشعبية فى مايو ١٩٥٦ فأفصح عن عزمه وتصميمه على الارتباط بالمعسكر الاشتراكى .

على هذا النحو دخل عبد الناصر فى لعبة الحرب الباردة ، وهى لعبة جديدة فى الصراع الوطنى على الاستقلال ، لم تكن متاحة للقيادات الوطنية قبل ثورة يوليو بنفس الدرجة التى أتيحت لعبد الناصر ، اذ كان وجود القصر يحرم هذه القيادات من اللعب بهذه الورقة .

وهو ما تمثل فى عهد حكومة الوفد الأخيرة ، فعندما أوقفت بريطانيا امدادات الأسلحة الى مصر ، حذر وزير الخارجية الوفدى الدكتور صلاح الدين ، خلال لقائه بوكيل وزارة الخارجية الأمريكية فى واشنطن فى ١٩ أكتوبر ١٩٥٠ ، من أن مصر « قد تضطر الى اللجوء الى الكتلة السوفيتية التى تتلهف على تقديم الأسلحة ، اذا لم تستأنف بريطانيا شحنات الأسلحة الى مصر » . وعندما استمر التعنت الغربى من تزويد

مصر بالأسلحة ، لم تتردد الحكومة الوفدية فى الاتصال بالحكومة التشيكية ، التى كانت قد أبدت استعدادها لتزويد مصر ببعض منتجاتها الحربيـة ، وقدمت لها كشوفا بالاحتياجات المصرية من الأسلحة والدبابات والطـائرات . على أن الحكومة التشيكية سوفت فى اجابة الطلب حتى ينجلى موقف مصر السـياسى من المعسكر الغربى بعد الغاء معاهدة ١٩٣٦ .

ولم يقدر لحـكومة الوفـد الاستمرار فى لعبـة الحرب الباردة ، وهو ما كان متوقعا بعد معركة القنال ومذبحة الشرطة فى الاسماعيلية ، اذ بادر القصر باقالة حكومة الوفد ، وأخرج من الساحة السياسية القوة الوطنية التى كانت جديرة بالوصول بالتصدى للاحتلال الى الذروة ، وأتى بحكومات رجعية قامت بتبريد الحركة الوطنية على نحو يناسب الاحتلال .

وقد كان التخلص من القصر وتأمين ظهر الحركة الوطنية هو ما أتاح لعبد الناصر استئناف الدور الذى لعبه الوفد وتحطيم احتكار السـلاح بالاعتماد على الكتلة الشيوعية ، والمضى فى تحدى الغرب فى قضية تمويل السـد العالى بالحصـول على موافقة الاتحاد السوفيتى على التمويل من حيث المبدأ ، وبذلك فرض على الاتحاد السوفيتى والمعسكر الاشتراكى التزاما أدبيا بتأييد مصر فى معركتها ضد العدوان الثلاثى .

وهو ما حدث تماما . فقد مارس الاتحاد السوفيتى ضغوطه

السياسية والقانونية في اطار الأمم المتحدة لوقف العدوان الثلاثى ، وعندما فشلت هذه الضغوط أرسل بولجانين رئيس الوزراء رسالته الشهيرة الى ايدن يقول فيها ان الحرب يمكن أن تتطور الى حرب عالمية ثالثة ، واننا عاقدون العزم على استخدام القوة لسحق المعتدين واعادة السلام المشرف الى الشرق الأوسط ، ونحن نأمل أن تظهروا الحكمة وتستخلصوا من ذلك النتائج المناسبة .

كما أرسل بولجانين رسالة أخرى الى بن جوريون أوضح فيها أن تصرفات اسرائيل قد كشفت عن زيف ادعاءاتها عن حبها للسلام ورغبتها فى التعايش السلمى مع جيرانها العرب ، وعن انها تعمل لحساب الغير وفقا للتعليمات التى تصدر اليها من سادتها ، وتلعب لعبا اجراميا غير مسئول بمصير السلام وبمصير شعبها .

ويقول أحمد حمروش ان الاتحاد السوفيتى أطلق انذاراته هذه فى اليوم التالى لقمعه ثورة المجر ، التى عجزت فيها الولايات المتحده عن استخدام السلاح النووى ، فأثارت فزعا فى العالم الغربى ، وظهرت الصحف البريطانية والفرنسية يوم ٦ نوفمبر وهى تحوى عناوين مفزعة عن احتمال ضرب لندن بالصواريخ ! وفى مساء هذا اليوم كان ايدن يعلن فى مجلس العموم قرار وقف اطلاق النار .

* * *

- ١٣ (*) -

ذكرنا فى مقالنا السابق أن وصـــول اسرائيـــل الى البحر الأحمر كان هو الثمن الباهظ الذى دفعته مصر لقرار تأميم شركة قناة الســـويس غير المحسوب نتائجه ، وأن هذا الثمن كان مجرد جزء من الثمن الذى كان على مصر أن تدفعه لو وقع العـــدوان الثـــلاثى فى ظروف أخرى كتلك التى وقع فيهـــا الاحتـــلال البريطانى لمصر ، ولكن تقدمت عوامل أنقذت مصر من دفع هذا الثمن . وقد ذكرنا من هـــذه العوامل وقفة الشـــعب المصرى الصلبة فى وجه العدوان ، ومساندة حركة تضـــامن الشـــعوب الآسيوية والافريقية ، وتضامن الشعوب العربية ، ثم مســـاندة المعسكر الاشتراكى الذى وصل ذروته برسالة بولجانين رئيس الوزراء السوفيتى الى ايدن يحذر فيهـــا من تطور الحرب الى حرب عالمية اذا استمر العدوان .

على أن عاملا هاما آخر برز فى ذلك الحين كان له تأثيره

(*) الوفد الوافق ٦/١١/١٩٦٥ .

فى وقف عجلة العدوان الثلاثى ، ويتمثل فى الأمم المتحدة ، التى كانت فى ذلك الحين تمثل قوة ضغط عالميـة قبـل أن يفعل الاستقطاب بين الاتحاد السوفيتى والولايات المتحدة فعله فى ازالة تأثيرها وتحويلها الى مجرد منبر خطابى .

ويعترف كثير من المؤرخين بأن الدور الذى لعبته الأمم المتحدة فى التنديد بالعدوان الثلاثى ، وفى الزام الدول المعتدية بالانسحاب ، يعد من أخطر الأدوار التى لعبتها الهيئة الدولية منذ انشائهـا ، اذ لم يحدث أن فازت قرارات بشـأن قضـية خطيرة ـ كتلك التى تمثلت فى العدوان الثلاثى ـ بمثل الأغلبية التى حصلت عليها !

فقد قامت أربع وستون دولة ، بما فيها الاتحاد السـوفيتى والولايات المتحدة ، بالاقتراع ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، ومطالبتها بسحب قواتها الى ما وراء خطوط الهدنة ، وذلك فى يوم ٢ نوفمبر ١٩٥٦ . كما وافقت ٥٩ دولة على تكليف السكرتير العـام بتنفيذ قرار وقف اطـلاق النار . وفى ٤ نوفمبر وافقت ٥٧ دولة على تكوين قوة طوارىء دوليـة تقوم بتنفيـذ قرار الجمعية العامة الصادر فى ٢ نوفمبر .

وقد لعبت الصدفة دورها فى انقاذ عبد الناصر من الوقوع فى أسر القوات البريطانية والفرنسية التى هبطت فى بورسعيد فى يوم ٥ نوفمبر ١٩٥٦ . وكان عبد الناصر قد قرر ـ كما ذكرنا

فى مقالاتنا السابقة ــ الذهاب الى بورسعيد « حتى يرى ماذا سيفعل الجيش عندما يعلم أن رئيسه قد ذهب الى بورسعيد ليقاتل بنفسه » . وسافر بالفعل مع عبد اللطيف البغدادى الى الاسماعيلية فى طريقه الى بورسعيد ، ولكن فى صباح يوم الاثنين ٥ نوفمبر عندما صحا من النوم أبلغه كمال الدين حسين بنزول جنود مظلات العدو فى بورسعيد فى مطار الجميل ، ونصحه بالعودة الى القاهرة ، ووافق عبد اللطيف البغدادى على ذلك ، وشعر عبد الناصر بانها كانت غلطة كبيرة محاولة الذهاب الى بورسعيد . ويقول أنتونى ناتنج ان هذه القوات كانت كفيلة بأسره لو أنه وصل الى بورسعيد .

كان العامل المهم الآخر ، هو الرأى العام المعادى للعدوان الثلاثى فى كل من انجلترا ودول الكومونولث البريطانى . ففى البرلمان البريطانى ارتفعت أصوات المعارضة العمالية تتهم ايدن بالاجرام وتطالبه بالاستقالة والكف عن التضليل : « أن ايدن بتصريحاته الكاذبة المضللة اما أحمق غبى واما مجنون متهور ، وفى كلتا الحالتين اننا لا نريده رئيسا لحكومتنا » ! « انكم عصابة من المجرمين سفاكى الدماء » ! و « مجرم ، منافق ، كاذب ، اغرب عنا ، استقل ، داعية حرب » ! .. الى آخره . كما اشترك فى التنديد من شركاء بريطانيا فى الكومونولث كندا والهند وباكستان وسيلان .

وكان عبد الناصر قد حرص على عدم اعطـاء ايدن ومولیه أقل ذريعة لمواصلة أو توسيع احتلالهما للأراضى المصرية . فقد أعلن أن أى هجوم على الرعايا البريطانيين أو الفرنسيين المقيمين فى مصر سـوف يعاقب بشـدة . وقد التزم جميـع المصريين بهذا التحذير ، لدرجة أنه حتى بعد أن دمرت القاذفات البريطانية سلاح الطيران المصرى وهاجمت عددا من المراكز الصناعية فى القـاهرة والدلتا ، لم تقم مظـاهرة واحدة ضـد السـفارة البريطانيـة !

على أن العنصر الحاسـم فى وقف العدوان الثلاثى وانقاذ مصر من احتلال طويل ، كان هو الولايات المتحدة الأمريكية .

ففى ذلك الحين كانت الولايات المتحدة بعد الحرب العالمية الثانية قد تصـدرت العـالم الغربى ، وكانت قد أخذت تضيق بالندية من جانب الدول الاستعمارية القديمـة فى آوروبا وعلى رأسها انجلترا وفرنسـا ، وتتوق الى وراثة نفوذهمـا القديم وسيطرتهما فى العالم .

وفى الوقت نفسه كان وزير الخارجية الأمريكية دالاس منذ بداية آزمة السـويس ، يعارض فكرة محـاولة اسـقاط عبد النـاصر باجراء عسـكرى ، اذ كان يشـعر بأن الضغوط الاقتصـادية ستكون أكثر فاعلية ، كما أنهـا أقل اثارة للرأى العالمى ، ولكنه لم يكن أقل اقتناعا من ايدن ومولیه بضرورة

التخلص من عبد الناصر بوسيلة أو بأخرى . كما كان يرى أنه اذا أقدمت بريطانيا وفرنسا على مغامرتهما ، فيجب أن تمضيا فيها الى النهاية بدلا من ايقافها قبل اسقاط عبد الناصر . كما كان دالاس يرى ضرورة حمل مصر على أن تتقيأ ما ابتلعته بتأميم شركة قناة السويس ، وكان هو المتبنى الأول لمشروع تدويل ادارة قناة السويس الذى كان منزيس قد حمله الى القاهرة .

على أنه عندما نفذت انجلترا وفرنسا تدخلهما العسكرى فى مصر بالاشتراك مع اسرائيل ، دون استشارة الولايات المتحدة ، شعر الرئيس الأمريكى أيزنهاور بالغضب ، ذلك أن هذا التدخل العسكرى لم يكن من شأنه فقط توريط الولايات المتحدة فى صراع دولى مع الاتحاد السوفيتى دون أن يكون لها دور أو رغبة فى ذلك ، وانما لأن التدخل العسكرى الثلاثى كان قد ساعد على صرف انتباه العالم عن تدخل الاتحاد السوفيتى الوحشى فى المجر ، وأعطاه الفرصة لصرف انتباه العالم عن هذا التدخل عن طريق توجيه انذاره العلنى الى ايدن وموليه وبن جوريون !

ووفقا لأنتونى ناتنج فان الروس لم يكن فى نيتهم التدخل الفعلى ! فبينما كان صدى تهديدات الكريملين تتردد فى أنحاء العالم كان خروشوف يبلغ السفير المصرى محمد القونى أن « عقبات جغرافية » تمنعه تماما من ارسال أية مساعدة مادية

لمصر . هذا فضلا عن أن الاتحاد السوفيتي ، كما أوضح خروشوف بجلاء فى رسالة بعث بها الى عبد الناصر عن طريق شكرى القوتلى ، لم يكن ليخاطر باشعال نيران حرب عالمية ثالثة من أجل مصر وقناة السويس ، وأنه اذا كان لابد من خوض مثل هذه الحرب ، فان السوفييت سيختارون مكانا وزمانا أكثر ملاءمة !

وقد أصابت هذه الرسالة عبد الناصر بالاكتئاب ، حتى انه بادر بوضع البرقية فى خزانته الخاصة خوفا من اضعاف الروح المعنوية لرفقائه ، وظل السر حبيس الخزانة حتى عام ١٩٦٠ عندما ثار جدل مع الأعضاء السوريين فى مجلس وزراء الجمهورية العربية المتحدة المشترك ، الذين كانوا يطالبون فى ذلك الحين بشن هجوم فجائى على اسرائيل ، فقد حذر عبد الناصر بأن مثل هذا العمل سيقابل بمقاومة من الغرب . وعندما رد السوريون بأن الاتحاد السوفيتي سوف يقاتل دفاعا عن العرب ، فتح عبد الناصر خزانته وقدم لهم رسالة خروشوف كدليل على أن روسيا لن تفعل ذلك .

ومن الواضح أن انشغال السوفييت بمعركتهم فى المجر فى ذلك الحين ، وهى معركة أساسية بالنسبة لهم ، كان هو السبب فى رسالة خروشوف السالفة الذكر ، بدليل أنهم لم يكادوا ينتهون من قمع ثورة المجر حتى أرسل بولجانين رسالات

التهديد الى ايدن وبن جوريون ، وهو ما يعنى أنهم أصبحوا أكثر استعدادا للتورط فى مشكلة السويس سياسيا ، حتى وان لم يكونوا على استعداد للتورط عسكريا ، وهو ما كان له دور كبير فى تذكية الروح المعنوية فى الشعب المصرى •

على أن برقية خروشوف كانت قد دفعت عبد الناصر الى المصدر الآخر للمساعدة ، وهى الولايات المتحدة الأمريكية • فقد لجأ عبد الناصر الى ايزنهاور طالبا المساعدة • ولكى يظهر للأمريكيين أنه لا يعمل لحساب السوفييت ، أصدر تعليماته الى الأخوين مصطفى وعلى أمين باعادة طبع مقال كانت مجلة «لايف» الأمريكية قد نشرته ، يكشف الستار عن عملية القمع الوحشية التى قامت بها القوات السوفيتية فى المجر !

وفى الوقت نفسه أظهر اعتراضه للسوريين على القيام بأى عمل تخريبى ضد خط أنابيب « التابلين » الذى تملكه أمريكا ، ولذلك لم يصب بأذى طوال حرب السويس !

لكل ذلك ، حين أخذت تجتاح العالم عاصفة من التنديد بالعدوان الثلاثى ، وشاركت فيه روسيا والصين وشركاء بريطانيا فى الكومونولث ، قدم مندوب الولايات المتحدة هنرى كابوت لودج قرارا الى مجلس الأمن يطالب اسرائيل بالانسحاب ويطلب من جميع أعضاء الأمم المتحدة الآخرين الامتناع عن استخدام القوة أو التهديد بها • وقد استخدمت انجلترا وفرنسا

حق الفيتو فى وجه هذا القرار ، وهى أولَ مرة تستخدم فيها الدولتان هذا الحق منذ قيام الأمم المتحدة . وعندئذ أيد لودج اقتراحا سوفيتيا بدعوة الأمم المتحدة الى عقد جلسة طارئة للجمعية العامة ، حيث لا يستخدم فيها حق الفيتو ، وذلك للتعبير عن اعتراض العالم على العدوان ، والمطالبة بوقف اطلاق النار فورا ، وانسحاب الجيش الاسرائيلى من الأراضى المصرية.

وكان هذا الموقف الأمريكى سببا فى تشجيع الدول الدائرة فى الفلك الغربى على الاقتراع ضد بريطانيا وفرنسا واسرائيل ، دون خشية اتهامها بالخروج من الفلك الغربى ! ومن هنا بلغ عدد هذه الدول ــ كما ذكرنا ــ ٦٥ دولة بما فيها الولايات المتحدة ، ولم يقف الى جانب بريطانيا وفرنسا سوى استراليا ونيوزيلندا !

ثم جاءت الضربة القاضية حين خاطر ايزنهاور بفقد أصوات اليهود الأمريكيين فى انتخابات رئاسة الجمهورية التى أجريت أثناء القتال ، وأعلن ادانته الصريحة لعدوان اسرائيل على مصر . وعندما ثبت له أن انجلترا وفرنسا تستخدمان أسلحة حلف الأطلنطى فى العدوان على مصر ، وجهت حكومته لهما مذكرة تعترض فيها على هذا الاستخدام ، وتذكرهما بأن الأسلحة التى حصلتا عليها عن طريق اتفاقية المساعدة الدفاعية المتبادلة يجب ألا تستخدم فى أغراض عدوانية !

* * *

- ١٤ (*) -

كان قرار تأميم شركة قناة السويس غير المحسوب كفيلا باعادة مصر الى الوراء سبعين عاما لولا تغير الظروف العالمية ، وتدخل كل من الأمم المتحدة ، والمعارضة العمالية فى البرلمان البريطانى ، والاتحاد السوفيتى ، ومجموعة دول عدم الانحياز ، والرأى العام فى البلاد العربية . وكان على رأس القوى التى كان لتدخلها تأثير حاسم فى انقاذ مصر من احتلال دول العدوان الثلاثى هى الولايات المتحدة الأمريكية ، التى وقف رئيس جمهوريتها الرئيس دوايت أيزنهاور ضد العدوان الثلاثى منذ البداية ، لما رأى من أنه أعطى الاتحاد السوفيتى الفرصة للافلات بجريمة القمع الوحشى لثورة المجر ، والظهور أمام دول العالم الثالث بمظهر الحامى والمدافع عنها .

وهو ما اعترف به عبد الناصر نفسه ، الذى رأى أن دور الولايات المتحدة فى السياسة العالمية دور فاصل ، وأن فى

(*) الوفد الموافق ١٩٩٥/١١/١٣ .

يدها جميع أوراق اللعبة السياسية . ففى لقائه بالرئيس دوايت أيزنهاور فى فندق والدورف ستوريا فى يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٥٩ ضرب المثل بفشــل الولايات المتحدة فى حل قضـــية فلســطين سنة ١٩٤٨ ونجاحها فى حل مشكلة العدوان الثلاثى على مصر عام ١٩٥٦ ، ونسب كلا من الفشــل والنجــاح الى الولايات المتحدة . وعلى حد قوله : « نجحت الأمم المتحدة فى سنة ١٩٥٦ لأن أمريكا وقفت معها ، وفشلت الأمم المتحــدة ســنة ١٩٤٨ لأن إمريكا تخلت عنها » !

ولو كان قــد جرى لقاء آخر بين عبــد الناصر ورئيس الولايات المتحدة بعد حرب ١٩٦٧ ، لأضاف الى أســباب فشل الأمم المتحدة فى حل مشكلة احتــلال اسرائيل لسيناء والضفة الغربية وغزة والجولان ، موقف الولايات المتحــدة المســاند لاسرائيــل !

ولذلك يذكر أنتــونى ناتنج فى كتــابه عن نــاصر ، أن عبد الناصر ، أعترافا منه بأنه اذا كانت هنالك دولة واحدة لعبت دورا حاسما فى وقف الغزو الأنجلو فرنسى لمصر ، فهى الولايات المتحدة ، أبلغ السفير الأمريكى فى اليوم التالى لاعــلان وقف اطلاق النار ، أنه يأمل فى تحسين العلاقــات مع واشنطن فى الأوقات العصيبة المقبلة ، ونبه الى أن بريطانيا وفرنسا قد فقدتا

بعملهما نفوذهما فى جميع أنحاء العالم العربى ، وهو ما يفرض أن تكون العلاقات بين مصر والغرب عن طريق الولايات المتحدة ، ويجعله يأمل فى أن يعمل الأمريكيون على قيام تفاهم مع مصر وبقية العالم العربى ، ولن يجدوا صعوبة فى ذلك ؛ لأن أية جهود تبذلها واشنطن فى هذا السبيل سوف تقابل بتقدير بالغ من القاهرة !

وقد كان حرص عبد الناصر على العلاقات مع الولايات المتحدة الأمريكية هو ما دعاه الى مطاردة الشيوعيين فى مصر واعتقالهم ، فى محاولة لموازنة رفضه لمبدأ أيزنهاور الذى قبلته كل من لبنان والأردن والعراق والمملكة العربية السعودية ، وتزعمه لحركة القومية العربية التى انطلقت بعد فشل دول العدوان الثلاثى فى احتلال مصر • ثم نقل هذه المطاردة للشيوعيين الى سوريا بعد الوحدة •

وعندما أبدى الاتحاد السوفيتى استياءه لذلك ، واتهم عبد الناصر بنكران الجميل لمساعدة روسيا فى وقف العدوان الثلاثى ، لم يتردد عبد الناصر فى مهاجمة الاتحاد السوفيتى ، وانتهز الفرصة لتحويل ٢٤٠ طالبا كانوا يدرسون فى الاتحاد السوفيتى الى الولايات المتحدة !

وفى الوقت نفسه ، وبالنسبة لاسرائيل وحرصا على العلاقات مع الولايات المتحدة ، أنكر علانية أنه كان فى نيته تدمير

اسرائيل • فعندما سألته المسز دوروثي طومسون في يناير ١٩٥٧ عما اذا كان ينوى تدمير اسرائيل ، رد بقوله : « أتحدى مسيو موليه ومستر سلوين لويد أن يجدا في كافة خطبي وتصريحاتي كلمة تشير الى أني أنوى تدمير اسرائيل » ! وفي حديثه لوليام أتورد في الدايلي اكسبرس يوم ١٩٥٧/٦/١١ قال في صراحة تامة : « اني لم أتحدث مطلقا عن تدمير اسرائيل ، وأى تسوية شاملة يجب أن تأخذ في الحسبان حقوق اللاجئين العرب ومشاكل الحدود • ومن الجانب الاسرائيلي فانها يجب أن تأخذ في الاعتبار حقوقها في استخدام القناة وخليج العقبة • انني لا أعرف متى تكون هذه التسوية الشاملة ممكنة » •

وبسبب هـذا الموقف المتوازن ، استصـدر الأمريكيون القانون رقم ٤٨٠ الذى أتاح لهم فرصـة امداد عبد النـاصر بالقمح وغيره من المساعدات •

والمهم هو أن قرار تأميم شركة قنـاة السويس وما ترتب عليه من العدوان الثلاثي ، كان هو بداية انفراد الولايات المتحدة بالزعامة على العالم الغربي ، وأفول نجم الدولتين الاستعماريتين القديمتين وهما بريطانيـا وفرنسا • فقد استخدمت الولايات المتحدة العـدوان الثلاثي بذكاء لتلقين الدولتين الاستعماريتين درسا لا ينسى !

فبالنســبة لبريطانيــا كان اذلالا لم تتعرض له من قبل ، فحين انخفض احتيــاطى الذهب البريطــانى بمقــدار ٢٨٥ مليون جنيه ، وأخذ احتياطى العملة ينفد ببيع الاسترلينى فى نيويورك على نطاق واسع ، وأرادت بريطانيا سحب رأس المــال من صندوق النقدالدولى ــ رفضت الولايات المتحدة ، وعرضت فى نفس الوقت أن تؤيد تقديم البنك الدولى قرضــا لبريطانيا قيمته ٣٠٠ مليون جنيه لحفظ الجنيه الاسترلينى ، بشرط وقف اطلاق النار فى منتصف الليل ، مما أجبر الحكومة البريطانية على قبول وقف اطلاق النار !

وقد عبر أحد المؤرخين البريطانيين عما تعرضت له بريطانيا من هوان على يد الولايات المتحــدة بقوله : « كنا قبل حرب السويس نخشى أن تصبح هولندا أخرى ، ولكنا عرفنــا بعد المعركة اننا أصبحنا أقل من برتغال أخرى مرهونة لأمريكا ، بالرغم من اننا امبراطورية » ! ثم قال « لقد أثبتت الســويس أننا غير قادرين على اتخــاذ أى عمــل حربى بدون الولايــات المتحدة » ! وهكذا حققت الولايات المتحدة أهدافها !

وبالنسبة لفرنسا فان تدخل الولايات المتحدة كان فاتحــة للسياسة الديجولية بقدر ما كان نهاية الجمهورية الرابعة .

وقد بلغت خسائر مصر فى الأرواح ألف قتيل من الجنود ، فضلا عن مئات المدنيين الذين قتلوا أثناء القتال الذى نشب فى

بورسعيد • كما وقع ستة آلاف مصرى وفلسطينى أسرى فى يد الاسرائيليين •. وكان معظمهم قد حوصر فى قطـاع غزة • وقد اعيدوا جميعا الى مصر بعد وقف اطلاق النار • أما خسـائر القوات الغازيـة فكانت طفيفـة ، فقد بلغت خسـائر القوات الاسرائيلية ١٧١ قتيلا ، وبلغت خسائر القوات الأنجلو فرنسية ٢٦ قتيلا •

وقد قبل عبد الناصر فى مقابل انسحاب اسرائيل من سيناء وغزة ، منع عمليات تسلل الفدائيين الى اسرائيل فى المستقبل ، وتخويل قوات الطوارىء الدولية القاء القبض على أى متسلل يشتبه فى أمره • وبالرغم من رفض الاسرائيليين السماح بتحديد خط واضح للحدود بين مصر واسرائيل ، بحجة أن الهدنة التى قررت هذه الحدود قد « زالت وانتهت » ، فان عبد النـاصر وافق على أن تقـدم الشرطة المصرية والجيش المصرى لقوات الطوارىء الدولية كل المساعدات الممكنة للمحافظة على السلام والهدوء على حدود مصر مع اسرائيل •

وما أن فرضت القيود على الفدائيين ، وأدرك البدو وأهل المنطقة أن عمليـات عبور الحدود الى اسرائيل لن يسمح لها ، سواء من جانب قوات الأمم المتحـدة أو من سـلطاتهم ، حتى أصبحت حوادث الحـدود بين مصر واسرئيـل طوال العشر سنوات التى تلت ذلك ، من ذكريات المـاضى !

كذلك قبل عبد الناصر تواجد قوات الطوارىء الدولية على الأرض المصرية ، رغم رفض اسرائيل تواجد قوات الطوارىء الدولية على أرضها ، لما رأت فى ذلك من انتهاك لسيادة اسرائيل !

ويقول أنتونى ناتنج أن عبد الناصر كان خير من يعلم أن موافقته على مرابطة قوات الطوارىء الدولية على الجانب المصرى فى شرم الشيخ ، انما تعنى موافقته على انهاء حصار مصر على ميناء ايلات . وكان انهاء هذا الحصار بالنسبة لبن جوريون كسبا أهم بكثير من أى امتياز يتعلق باستخدام قناة السويس مهما تكن أهمية هذا الاستخدام لهيبة اسرائيل . وقد سمح عبد الناصر بالبدء فى تطهير القناة رغم أن الأراضى المصرية نفسها لم تحرر من الغزاة الا بعد ذلك بنحو شهرين !

وقد ترتب على قرار تأميم شركة قناة السويس وما ترتب عليه من العدوان الثلاثى ، تحول ميناء «ايلات» الى ميناء عالمى ، ومحاولة اسرائيل الاستعاضة به عن قناة السويس لنقل البضائع والبترول بين آسيا وافريقيا وأوروبا . فقد عمدت الى اقامة شبكة من المواصلات بين ايلات والبحر المتوسط ، وادخال تحسينات كبرى على الميناء ، وقامت بتوسيعه وتقسيمه الى قسم للبترول ، وقسم لشحن توزيع البضائع ، وقسم لتخزين البضائع .

وفى عام ١٩٥٩ كانت هناك ثلاث شركات ملاحيـة تعمـل بواخرها بانتظام بين ايلات والسـاحل الشرقى لافريقيا • وقد سـجل الاسـطول التجارى الاسرائيلى تقدما مضطردا منـذ عام ١٩٥٩ ، وقامت الخطوط الملاحية الاسرائيلية بربط اسرائيل باليابان وبورما وسـيلان وشرقى افريقيا وغربها واستراليا • وهو ما لم يسبق له مثيل منذ قيام دولة اسرائيل !

وسرعان ما أنشأت اسرائيل مطارا عسكريا فى شمال ايلات لهبوط الطـائرات النفاثة ، يعد المطـار الثانى فى اسرائيل بعد اللد • وأنشأت طريقا بريا من الدرجة الأولى بين حيفا وايلات يبلغ طوله ٤٦٧ كيلو مترا ، أطلق عليـه الاسرائيليون اسـم « قناة السويس البرية » ! واستطاعت اسرائيل بذلك أن تحول الى ايلات الجزء الأعظم من حركة الملاحة التى كانت تصـل الى ميناء العقبة الأردنى ، حتى بلغ حجم السفن التى تصـل اليها فى عام ١٩٦٧ سبع سفن مقابل كل سفينة تصـل الى ميـناء العقبـة !

وقد ترتب على ذلك تسرب النفوذ الاسرائيلى الى افريقيا ، تدعمه الاستثمارات الاسرائيليـة والامبريالية • وقد بلغ من امتداد النفوذ الاسرائيلى فى افريقيا أن بلغ عدد الدول الافريقية غير العربيـة التى أقامت علاقات دبلوماسية مع اسرائيل حتى

عام ١٩٧٣ ، ٣٢ دولة ، وفشلت كل الجهود والمحاولات التي بذلها الجانب العربي لصالح ادراج القضية الفلسطينية ضمن جدول أعمال منظمة الوحدة الافريقيه الا بالتحفظات التي كانت تبديها الدول الافريقية غير العربية ! وبفضل كل ذلك تمكنت اسرائيل من التغلب على الحصار الاقتصادى العربي ومنافسة الصناعات العربية .

على أن كل هذه الخسائر الجسيمة لم تمنع مصر من تحقيق مكاسب اقتصادية وسياسية هامة ، فضلا عن مكسب عودة القناة الى مصر ، وهو مطلب قومي ظل دفينا فى قلب كل مصرى منذ عشرات السنين ، وكان تحقيقه خارجا عن امكانيات مصر السياسية بسبب الاحتلال البريطانى . ذلك أن العدوان الثلاثى على مصر واشتراك بريطانيا فيه ، أعطى عبد الناصر الفرصة للتحرر من معاهدة الجلاء التى وقعت بين مصر وبريطانيا في أكتوبر ١٩٥٤ ولم تحظ بموافقة الشعب المصرى ، اذ اعتبر عبد الناصر هذه المعاهدة ملغاة من أول يناير ١٩٥٧ ، وبذلك استردت مصر كامل استقلالها وسيادتها التى حرمت منها منذ قرون . ومنذ ذلك الحين بدأ عصر الاستقلال الوطنى الحقيقى ، الذى كان مقدرا له أن يؤتى ثماره كاملة لولا أن كرر عبد الناصر أخطاء ١٩٥٦ فى يونية ١٩٦٧ ! فحرم مصر من اتمام دورها فى تحقيق الوحدة العربية وقيام دولة كبرى من الخليج الى

المحيط ، وأتاح الفرصة لاسرائيل للظهور كدولة لا تقهر ، وفرض ارادتها على الدول العربية .

ولكن مصر فى عصر الاستقلال الكامل الذى تمتعت به منذ يناير ١٩٥٧ الى ٥ يونية ١٩٦٧ استطاعت تغيير مصير المنطقة العربية على نحو لم يسبق له مثيل .

***

وبعد ذلك كيف يمكننا تقييم قرار تأميم شركة قناة السويس ؟ ان الدراسة التى قدمناها فى هذا الصدد تقدم الاجابة كاملة . فعلى الرغم من أن هذا القرار كان استجابة لرغبة وطنية حقيقية كانت تعيش فى ضمير كل وطنى مصرى ، وقد لقى ترحيبا عاما من كل مصرى ، الا أنه ليس من مصلحة أى وطن من الأوطان أن تتخذ فيه القرارات المصيرية التى تتعلق بالحرب والسلام ، بطريقة فردية ، كما حدث فى طريقة اتخاذ عبد الناصر قرار تأميم شركة قنال السويس . وربما كان عبد الناصر خير من عبر عن حقيقة ما حدث بقوله : « لقد نفذنا من سم الخياط » !

ولكن الظروف التى أنقذت مصر فى عام ١٩٥٦ لم تتكرر عندما أخطأ عبد الناصر خطأه الأكبر فى يونية ١٩٦٧ .

فقد احتلت اسرائيل سيناء وغزة والضفة الغربيـة والجولان ، ولم تخرج من سيناء الا بحرب أخرى فى أكتوبر ١٩٧٣ ، أعقبتها مبادرة سـلام قسمت العرب قسمين بين مؤيد ومعـارض . ومازالت مصر والأمة العربية جمعاء تدفع فاتورة حساب أخطاء عبد الناصر حتى اليوم !

الفهـــرس

صدر من هذه السلسلة

١ ـ مصطفى كامل فى محكمة التاريخ ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٢ ـ على ماهر ،
رشوان محمود جاب الله ، ١٩٨٧

٣ ـ ثورة يوليو والطبقة العاملة ،
عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٨٧

٤ ـ التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة ،
د. محمد نعمان جلال ، ١٩٨٧

٥ ـ غارات أوروبا على الشواطئ المصرية فى العصور الوسطى
علية عبد السميع الجنزورى ، ١٩٨٧

٦ ـ هؤلاء الرجال من مصر ، ج ١ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٧

٧ ـ صلاح الدين الأيوبى ،
د. عبد المنعم ماجد ، ١٩٨٧

٨ ـ رؤية الجبرتى لأزمة الحياة الفكرية ،
د. على بركات ، ١٩٨٧

٩ ـ صفحات مطوية من تاريخ الزعيم مصطفى كامل ،
د. محمد أنيس ، ١٩٨٧

١٠ ـ توفيق دياب ملحمة الصحافة الحزبية ،
محمود فوزى ، ١٩٨٧

١١ ـ مائة شخصية مصرية وشخصية ،
شكرى القاضى ، ١٩٨٧

١٢ ـ هدى شعراوى وعصر التنوير ،
د. نبيل راغب ، ١٩٨٨

١٣ ــ اكذوبة الاستعمار المصرى للسودان : رؤية تاريخية ،
د. عبد العظيم رمضان ، ط ١ ، ١٩٨٧ ، ط ٢ ، ١٩٩٤

١٤ ــ مصر فى عصر الولاة ، من الفتح العربى الى قيام الدولة الطولونية ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٨

١٥ ــ المستشرقون والتاريخ الاسلامى ،
د. علي حسنى الخربوطلى ، ١٩٨٨

١٦ ــ فصول من تاريخ حركة الاصلاح الاجتماعى فى مصر دراسة عن دور الجمعية الخيرية (١٨٩٢ ــ ١٩٥٢) .
د. حلمى احمد شلبى ، ١٩٨٨

١٧ ــ القضاء الشرعى فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد نور فرحات ، ١٩٨٨

١٨ ــ الجوارى فى مجتمع القاهرة المملوكية ،
د. علي السيد محمود ، ١٩٨٨

١٩ ــ مصر القديمة وقصة توحيد القطرين ،
د. أحمد محمود صابون ، ١٩٨٨

٢٠ ــ دراسات فى وثائق ثورة ١٩١٩ : المراسلات السرية بين سعد زغلول وعبد الرحمن فهمى ،
د. محمد أنيس ، ط ٢ ، ١٩٨٨

٢١ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ، ج ١ ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٢ ــ نظرات فى تاريخ مصر ،
جمال بدوى ، ١٩٨٨

٢٣ ــ التصوف فى مصر ابان العصر العثمانى ج ٢ ، امام التصوف فى مصر : الشعرانى ،
د. توفيق الطويل ، ١٩٨٨

٢٤ ـ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ـ ١٩٣٦) ،
د. نجـوى كامـل ، ١٩٨٩
٢٥ ـ المجتمـع الاسـلامى والغرب ،
تاليف : هاملتون جب وهارولد بوين : ترجمة : د. احمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٨٩
٢٦ ـ تاريخ الفكر التربوى فى مصر الحديثـة ،
د. سعيد اسـماعيل علي ، ١٩٨٩
٢٧ ـ فتح العـرب لمصـر ، ج ١ ،
تاليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٨ ـ فتـح العـرب لمصـر ، ج ٢ ،
تاليف : الفريد ج . بتلر ، ترجمة : محمد فريد أبو حديد ١٩٨٩
٢٩ ـ مصر فى عصر الاخشـيديين ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٨٩
٣٠ ـ الموظفون فى مصر فى عصر محمد علي ،
د. حلمي أحمد شلبي ، ١٩٨٩
٣١ ـ خمسون شخصية مصرية وشخصية ،
شـكرى القـاضى ، ١٩٨٩
٣٢ ـ هؤلاء الرجـال من مصر ، ج ٢ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٨٩
٣٣ ـ مصر وقضـايا الجنوب الافريقى : نظرة على الأوضـاع الراهنة ورؤية مستقبلية ،
د. خالد محمود الكومى ، ١٩٨٩
٣٤ ـ تاريخ العـلاقات المصرية المغربية ، منذ مطلع العصـور الحديثة حتى عام ١٩١٢ ،
د. يونان رزق ، محمد مزين ، ١٩٩٠

- اعلام الموسيقى المصرية عبر ١٥٠ سنة ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٠
- المجتمع الاسلامى والغرب ، ج ٢ ،
تأليف : هاملتون بوين : ترجمة : د. أحمد عبد الرحيم مصطفى ، ١٩٩٠
- الشيخ علي يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ،
د. سليمان صالح ، ١٩٩٠
- فصول من تاريخ مصر الاقتصادى والاجتماعى فى العصر العثمانى ،
د. عبد الرحيم عبد الرحمن عبد الرحيم ، ١٩٩٠
- قصة احتلال محمد علي لليونان (١٨٢٤ - ١٨٢٧) ،
د. جميل عبيد ، ١٩٩٠
- الأسلحة الفاسدة ودورها فى حرب فلسطين ١٩٤٨ ،
د. عبد المنعم الدسوقى الجميعى ، ١٩٩٠
- محمد فريد : الموقف والمأساة ، رؤية عصرية ،
د. رفعت السعيد ، ١٩٩١
- تكوين مصر عبر العصور ،
محمد شفيق غربال ، ط ٢ ، ١٩٩٠
- رحلة فى عقول مصرية ،
ابراهيم عبد العزيز ، ١٩٩٠
- الأوقاف والحياة الاقتصادية فى مصر فى العصر العثمانى ،
د. محمد عفيفى ، ١٩٩١
- الحروب الصليبية ، ج ١ ،
تألف : وليم الصورى ، ترجمة وتقديم د. حسن حبشى ١٩٩١

٤٦ ـ **تاريخ العلاقات المصرية الأمريكية (١٩٣٩ ـ ١٩٥٧) ،**
ترجمة : د. عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩١

٤٧ ـ **تاريخ القضـاء المصرى الحديث ،**
د. لطيفة محمد سالم ، ١٩٩١

٤٨ ـ **الفلاح المصرى بين العصر القبطى والعصر الاسلامى ،**
د. زبيدة عطـا ، ١٩٩١

٤٩ ـ **العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ ـ ١٩٧٩) ،**
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٠ ـ **الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ـ ١٩٥٤) ،**
د. سـهير اسـكندر ، ١٩٩٣

٥١ ـ **تاريخ المدارس فى مصر الاسـلامية ،**
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافـة ، فى ابريل ١٩٩١) اعدهـا للنشر :
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٢

٥٢ ـ **مصر فى كتابات الرحالة والقناصل الفرنسيين ، فى القرن الثامن عشر :**
د. الهام محمد على ذهنى ، ١٩٩٢

٥٣ ـ **اربعة مؤرخين واربعة مؤلفات من دولة المماليك الجراكسة،**
د. محمد كمال الدين عز الدين على ، ١٩٩٢

٥٤ ـ **الأقبـاط فى مصر فى العصر العثمانى ،**
د. محمد عفيفى ، ١٩٩٢

٥٥ ـ **الحـروب الصليبيـة ج ٢ ،**
تاليف : وليم الصـورى : ترجمـة وتعليق : د. حسـن حبشى ، ١٩٩٢

٥٦ ـ **المجتمع الريفى فى عصر محمد على : دراسـة عن اقليم المنوفيـة ،**
د. حلمى احمد شلبى ، ١٩٩٢

٥٧ ــ مصر الاسـلامية وأهل الذمـة ،
د. سيدة اسماعيل كاشف ، ١٩٩٢

٥٨ ــ احمد حلمى سجين الحرية والصحافة ،
د. ابراهيم عبد الله المسلمى ، ١٩٩٣

٥٩ ــ الراسمالية الصناعية فى مصر ، من التمصير الى التاميم (١٩٥٧ ــ ١٩٦١) ،
د. عبد السلام عبد الحليم عامر ، ١٩٩٣

٦٠ ــ المعاصرون من رواد الموسيقى العربية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٣

٦١ ــ تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث ،
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٢ ــ هؤلاء الرجـال من مصر ، ج ٣ ،
لمعى المطيعى ، ١٩٩٣

٦٣ ــ موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر الاسلامية.
تاليف : د. سيدة اسماعيل كاشف ، جمال الدين سرور ، وسـعيد عبـد الفتـاح عاشـور ، أعدهـا للنشر .
د. عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٤ ــ مصر وحقوق الانسـان ، بين الحقيقة والافتراء دراسـة وثائقيـة ،
د. محمد نعمـان جلال ، ١٩٩٣

٦٥ ــ موقف الصحافة المصرية من الصهيونية (١٨٩٧ ــ ١٩١٧) ،
سـهام نصـار ، ١٩٩٣

٦٦ ــ المرأة فى مصر فى العصر الفاطمى ،
د. نريمان عبد الكريم احمد ، ١٩٩٣

٦٧ ــ مساعى السلام العربية الاسرائيلية : الأصول التاريخية .
(ابحاث الندوة التى أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس

الأعلى للثقافة ، بالاشتراك مع قسم التاريخ بكلية البنات جامعة عين شمس ، فى ابريل ١٩٩٣) ، اعدها للنشر : د٠ عبد العظيم رمضان ، ١٩٩٣

٦٨ ــ الحــروب الصليبية ، ج ٣ ،
تأليف : وليم الصــورى ، ترجمة : وتعليق : د٠ حسن حبشى ، ١٩٩٣

٦٩ ــ نبوية موسى ودورها فى الحياة المصرية (١٨٨٦ ــ ١٩٥١) ،
د٠ محمد ابو الاسعاد ، ١٩٩٤

٧٠ ــ أهــل الذمــة فى الاســلام ،
تأليف : ا٠س٠ ترتون ، ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشى ط ٢ ، ١٩٩٤

٧١ ــ مذكرات اللورد كليرن (١٩٣٤ ــ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة : د٠ عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٤

٧٢ ــ رؤية الرحــالة المسلمين للأحوال المــالية والاقتصــادية لمصر فى العصر الفاطمى (٣٥٨ ــ ٥٦٧ هـ) ،
أمينة احمــد امام ، ١٩٩٤

٧٣ ــ تاريخ جامعــة القــاهرة ،
د٠ رؤوف عباس حامد ، ١٩٩٤

٧٤ ــ تاريخ الطب والصيدلة المصرية ، ج ١ ، فى العصر الفرعونى
د٠ سمير يحيى الجمال ، ١٩٩٤

٧٥ ــ اهل الذمة فى مصر ، فى العصر الفاطمى الأول ،
د٠ سلام شافعى محمود ، ١٩٩٥

٧٦ ــ دور التعليم المصرى فى النضــال الوطنى (زمن الاحتلال البريطــانى) ،
د٠ سعيد اسماعيل على ، ١٩٩٥

٧٧ ــ الحروب الصليبية ، ج ٤ ،
تأليف : وليم الصوري ، ترجمة وتعليق : د٠ حسن حبشي ، ١٩٩٤

٧٨ ــ تاريخ الصحافة السكندرية (١٨٧٣ ــ ١٨٩٩) ،
نعمات أحمد عثمان ، ١٩٩٥

٧٩ ــ تاريخ الطرق الصوفية في مصر ، في القرن التاسع عشر ،
تأليف . فريد دي يونج ، ترجمة : عبد الحميد فهمي الجمال ، ١٩٩٥

٨٠ ــ قناة السويس والتنافس الاستعماري الأوربي (١٨٨٢ ــ ١٩٠٤) ،
د٠ السيد حسين جلال ، ١٩٩٥

٨١ ــ تاريخ السياسة والصحافة المصرية ، من هزيمة يونيو الى نصر أكتوبر ،
د٠ رمزى ميخائيل ، ١٩٩٥

٨٢ ــ مصر في فجر الاسلام ، من الفتح العربي الى قيام الدولة الطولونية ،
د٠ سيدة اسماعيل كاشف ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٣ ــ مذكراتي في نصف قرن ، ج ١ ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٤

٨٤ ــ مذكراتي في نصف قرن ، ج ٢ ، القسم الأول ،
أحمد شفيق باشا ، ط ٢ ، ١٩٩٥

٨٥ ــ تاريخ الاذاعة المصرية : دراسة تاريخية (١٩٣٤ ــ ١٩٥٢)،
د٠ حلمي أحمد شلبي ، ١٩٩٥

٨٦ ــ تاريخ التجارة المصرية في عصر الحرية الاقتصادية (١٨٤٠ ــ ١٩١٤) ،
د٠ أحمد الشربيني ، ١٩٩٥

٨٧ ــ مذكرات اللورد كلين ، ج ١ ، (١٩٣٤ ــ ١٩٤٦) ،
اعداد : تريفور ايفانز ، ترجمة وتحقيق : د· عبد الرؤوف احمد عمرو ، ١٩٩٥

٨٨ ــ التذوق الموسيقى وتاريخ الموسيقى المصرية ،
عبد الحميد توفيق زكى ، ١٩٩٥

٨٩ ــ تاريخ الموانىء المصرية فى العصر العثمانى ،
د· عبد الحميد حامد سليمان ، ١٩٩٥

٩٠ ــ معاملة غير المسلمين فى الدولة الاسلامية ،
د· نريمان عبد الكريم أحمد ، ١٩٩٦

٩١ ــ تاريخ مصر الحديثة والشرق الأوسط ،
تاليف : بيتر مانسفيلد ، ترجمة : عبد الحميد فهمى الجمال ، ١٩٩٦

٩٢ ــ الصحافة الوفدية والقضايا الوطنية (١٩١٩ ــ ١٩٣٦) ج ٢ ،
نجوى كامل ، ١٩٩٦

٩٣ ــ قضايا عربية فى البرلمان المصرى (١٩٢٤ ــ ١٩٥٨) ،
د· نبيه بيومى عبد الله ، ١٩٩٦

٩٤ ــ الصحافة المصرية والقضايا الوطنية (١٩٤٦ ــ ١٩٥٤) ، ج ٢ ،
د· سهير اسكندر ، ١٩٩٦

٩٥ ــ مصر وافريقيا ·· الجذور التاريخية الافريقية المعاصرة ،
(ابحاث الندوة التى اقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة) ، اعدها للنشر ، د· عبد العظيم رمضان

- **عبد الناصر والحرب العربية الباردة (١٩٥٨ ـ ١٩٧٠)،**
تأليف : مالكولم كير ، ترجمة : د٠ عبد الرؤوف أحمد عمرو

- **العربان ودورهم فى المجتمع المصرى فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ،**
د٠ ايمان محمد عبد المنعم عامر

- **هيكل والسياسة الأسبوعية ،**
د٠ محمد سيد محمد

- **تاريخ الطب والصيدلة المصرية (العصر اليونانى ـ الرومانى) ج ٢ ،**
د٠ سمير يحيى الجمال

- **موسوعة تاريخ مصر عبر العصور : تاريخ مصر القديمة ،**
أ٠ د٠ عبد العزيز صالح ، أ٠ د٠ جمال مختار ، أ٠ د٠ محمد ابراهيم بكر ، أ٠ د٠ ابراهيم نصحى ، أ٠ د٠ فاروق القاضى ، أعدها للنشر : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان ٠

- **ثورة يوليو والحقيقة الغائبة ،**
اللواء/ مصطفى عبد المجيد نصير ، اللواء/ عبد الحميد كفافى ، اللواء/ سعد عبد الحفيظ ، السفير/ جمال منصور

- **المقطم جريدة الاحتلال البريطانى فى مصر ١٨٨٩ ـ ١٩٥٢ ،**
د٠ تيسير أبو عرجة

- **رؤية الجبرتى لبعض قضايا عصره ،**
د٠ على بركات

- **تاريخ العمال الزراعيين فى مصر (١٩١٤ ـ ١٩٥٢) ،**
د٠ فاطمة علم الدين عبد الواحد

١٠٥ ـ **السلطة السياسية فى مصر وقضية الديمقراطية (١٨٠٥ ـ ١٩٨٧) ،**
د. أحمد فارس عبد المنعم

١٠٦ ـ **الشيخ على يوسف وجريدة المؤيد : تاريخ الحركة الوطنية فى ربع قرن ، ج ٢ ،**
د. سليمان صالح

١٠٧ ـ **الأصولية الاسلامية فى العصر الحديث ،**
تأليف : دليب هيرو ، ترجمة : عبد الحميد الجمال

١٠٨ ـ **مصر للمصريين ، ج ٤ ،**
سليم خليل النقاش

١٠٩ ـ **مصر للمصريين ، ج ٥ ،**
سليم خليل النقاش

١١٠ ـ **مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك) ، ج ١ ،**
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١١ ـ **مصادرة الأملاك فى الدولة الاسلامية (عصر سلاطين المماليك ، ، ج ٢ ،**
د. البيومى اسماعيل الشربينى

١١٢ ـ **اسماعيل باشا صدقى ،**
د. محمد محمد الجوادى

١١٣ ـ **الزبير باشا ودوره فى السودان (فى عصر الحكم المصرى) ،**
د. اسماعيل عز الدين

١١٤ ـ **دراسات اجتماعية فى تاريخ مصر ،**
أحمد رشدى صالح

١١٥ ــ مذكراتي في نصف قرن ، ج ٣ ،
أحمد شفيق باشا

١١٦ ــ اديب اسحق (عاشق الحرية) ،
علاء الدين وحيد

١١٧ ــ تاريخ القضاء في مصر العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨) ،
عبد الرازق ابراهيم عيسى

١١٨ ــ النظم المالية في مصر والشام زمن سلاطين المماليك ،
د. البيومي اسماعيل الشربيني

١١٩ ــ النقابات في مصر الرومانية ((دراسة وثائقية))
حسين محمد أحمد يوسف

١٢٠ ــ يوميات من التاريخ المصري الحديث (١٧٧٥ ــ ١٩٥٣) ،
لويس جرجس

١٢١ ــ الجلاء ووحدة وادي النيل (١٩٤٥ ــ ١٩٥٤) ،
محمد عبد الحميد الحناوي

١٢٢ ــ مصر للمصريين ج ٦،
سليم خليل النقاش

١٢٣ ــ السيد احمد البدوي ،
د. سعيد عبد الفتاح عاشور

١٢٤ ــ العلاقات المصرية الباكستانية في نصف قرن ،
د. محمد نعمان جلال

١٢٥ ــ مصر للمصريين ج ٧ ،
سليم خلىل النقاش

١٢٦ ــ مصر للمصريين ج ٨ ،
سليم خليل النقاش

١٢٧ ـ مقدمات الوحدة المصرية السورية (١٩٤٣ ـ ١٩٥٨) ،
ابراهيم محمد محمد ابراهيم

١٢٨ ـ معـــارك صحفيـــة ،
جمـــال بدوى

١٢٩ ـ الدين العـام (واثره فى تطور الاقتصـــاد المصـــرى (١٨٧٦ ـ ١٩٤٣) ،
د٠ يحيى محمد محمود

١٣٠ ـ تاريخ نقابات الفنانين فى مصر (١٩٨٧ ـ ١٩٩٧)
سـمير فريـد

١٣١ ـ الولايات المتحدة وثورة يوليو ١٩٥٢ (١٩٥٢ ـ ١٩٥٨)،
تاليف : جايل ماير ، ترجمة : د٠ عبد الرءوف احمد عمرو

١٣٢ ـ دار المندوب السـامى فى مصر ج ١ ،
د٠ ماجدة محمـــد محمود

١٣٣ ـ دار المندوب السـامى فى مصر ج ٢ ،
د٠ ماجدة محمـــد محمود

١٣٤ ـ الحملة الفرنسـية على مصر فى ضـوء مخطوط عثمـانى للدارندلى ،
بقلم : عزت حسن افندى الدارندلى ، ترجمة : جمال سعيد عبد الغنى

١٣٥ ـ اليهود فى مصر المملوكيـة (فى ضـوء وثائـق الجنيزة) (٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ـ ١٥١٧ م)
د٠ محاسن محمد الوقاد

١٣٦ ـ اوراق يوسـف صـديق
تقديم : أ٠ د٠ عبد العظيم رمضان

١٣٧ ــ تجار التوابل فى مصر فى العصر المملوكى
د. محمد عبد الغنى الأشقر

١٣٨ ــ الاخوان المسلمون وجذور التطرف الدينى والارهاب ى مصر ،
السيد يوسف

١٣٩ ــ موسوعة الغناء المصرى فى القرن العشرين ،
بقلم : محمد قابيل

١٤٠ ــ سياسة مصر فى البحر الأحمر فى النصف الأول من القرن التاسع عشر ١٢٢٦ ــ ١٢٦٥ هـ/١٨١١ ــ ١٨٤٨ م ،
طارق عبد العاطى غنيم بيومى

١٤١ ــ وسائل الترفيه فى عصر سلاطين المماليك فى مصر ،
لطفى احمد نصار

١٤٢ ــ مذكراتى فى نصف قرن ، ج ٤ ،
احمد شفيق باشا

١٤٣ ــ دبلوماسية البطالمة فى القرنين الثانى والأول ق.م. ،
د. منيرة الهمشرى

١٤٤ ــ كشوف مصر الافريقية فى عهد الخديوى اسماعيل (١٨٦٣ ــ ١٨٧٩)
عبد العليم خلاف

١٤٥ ــ النظام الادارى والاقتصادى فى مصر فى عهد دقلديانوس (٢٨٤ ــ ٣٠٥ م)
د. منيرة الهمشرى

١٤٦ ــ المراة فى مصر المملوكية ،
د. أحمد عبد الرازق

١٤٧ ــ حسن البنا .
متى .. كيف .. لماذا ؟
د. رفعت السعيد

١٤٨ ــ القديس مرقس وتاسيس كنيسة الاسكندرية ،
تاليف : د. سمير فوزى ، ترجمة : نسيم مجلى

١٤٩ ــ العلاقات المصرية الحجازية فى القرن الثامن عشر ،
حسام محمد عبد المعطى

١٥٠ ــ تاريخ الموسيقى المصرية (أصولها وتطورها)
د. سمير يحيى الجمال

١٥١ ــ جمال الدين الأفغانى والثورة الشاملة ،
السيد يوسف

١٥٢ ــ الطبقات الشعبية فى القاهرة المملوكية
(٦٤٨ ــ ٩٢٣ هـ/١٢٥٠ ــ ١٥١٧ م ،
د. محاسن محمد الوقاد

١٥٣ ــ الحروب الصليبية (المقدمات السياسية) ،
د. علية عبد السميع الجنزورى

١٥٤ ــ هجمات الروم البحرية على شواطىء مصر الاسلامية فى العصور الوسطى ،
علية عبد السميع الجنزورى

١٥٥ ــ عصر محمد على ونهضة مصر فى القرن التاسع عشر (١٨٠٥ ــ ١٨٨٣) ،
د. عبد الحميد البطريق

١٥٦ ــ تاريخ الطب والصيدلة المصرية ج ٣ (فى العصر الاسلامى)
د. سمير يحيى الجمال

١٥٧ ـ تاريخ الطب والصيدلة المصرية فى العصر الاســـلامى والحديث ـ ٤
د . سمير يحيى الجمال

١٥٨ ـ نائب السلطنة المملوكية فى مصر (من ٦٤٨ ـ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٧ ـ ١٥١٧ م)
د . محمد عبد الغنى الأشقر

١٥٩ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) ـ ١
د . محمد فريد حشيش

١٦٠ ـ حزب الوفد (١٩٣٦ ـ ١٩٥٢) ـ٢
د . محمد فريد حشيش

١٦١ ـ السيف والنار فى السودان
تأليف سلاطين باشا

١٦٢ ـ السياسة المصرية تجاه السودان (١٩٣٦ ـ ١٩٥٣)
د . تمام همام تمام

١٦٣ ـ مصر والحملة الفرنسية
المستشار / محمد سعيد العشماوى

١٦٤ ـ الحدود المصرية السودانية عبر التاريخ
(اعمال ندوة لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع معهد البحوث والدراسات الافريقية بجامعة القاهرة « ٢٠ ـ ٢١ ديسمبر ١٩٩٧ »)
اعداد : أ . د . عبد العظيم رمضان

١٦٥ ـ التعليم والتغيير الاجتماعى فى مصر فى القرن التاسع عشر
سامى سليمان محمد السهم

١٦٦ ـ مذكرات معتقل سياسى صفحة من تاريخ مصر
السـيد يوسـف

١٦٧ ــ الحركة العلمية والادبية فى الفسطاط منذ الفتح العربى الى نهاية الدولة الاخشيدية
د . صفى على محمد

١٦٨ ــ مؤرخون مصريون من عصر الموسوعات ،
يسرى عبد الغنى

١٦٩ ــ مدن مصر الصناعية فى العصر الاسلامى الى نهاية عصر الفاطميين (٢١ ــ ٥٦٧ هـ/٦٤٢ ــ ١١٧١ م) ،
د. صفى على محمد عبد الله

١٧٠ ــ القرية المصرية فى عصر سلاطين المماليك (٦٤٨ ــ ٩٢٣ هـ/ ١٢٥٠ ــ ١٥١٧ م) ،
مجدى عبد الرشيد بحر

١٧١ ــ تاريخ الجالية الأرمنية فى مصر القرن التاسع عشر ،
محمـد رفعـت

١٧٢ ــ تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ١) ،
د. فاطمة مصطفى عامر

١٧٣ ــ تاريخ أهل الذمة فى مصر الاسلامية (من الفتح العربى الى نهاية العصر الفاطمى ج ٢) ،
د. فاطمة مصطفى عامر

١٧٤ ــ مصر وليبيا فيما بين القرن السابع والقرن الرابع ق.م ،
د. أحمد عبد الحليم دراز

١٧٥ ــ محمد توفيق نسيم ودوره فى الحياة السياسية ،
عادل ابراهيم الطويل

١٧٦ ــ الملاحة النيلية فى مصر العثمانية (١٥١٧ ــ ١٧٩٨ م) ،
د. عبد الحميد حامد سليمان

١٧٧ ــ سياسة مصر العسكرية ازاء حروب الشرق الأوسط ،
لواء/د. صــلاح سالم

١٧٨ ــ العلاقات التجارية بين مصر وبلاد الشام الكبرى فى القرن الثامن عشر ،
د. سحر على حنفى

١٧٩ ــ دور الحامية العثمانية فى تاريخ مصر (١٥٦٤ ــ ١٦٠٩ م)،
د. عفاف مسعد السيد العبد

١٨٠ ــ الحقيقة التاريخية حول قرار تاميم شركة قناة السويس ،
بقلم/د. عبد العظيم رمضان

يضم هذا الكتاب مجموعة المقالات التاريخية التى نشرتها فى جريدة الوفد الغراء رداً على فيلم «ناصر ١٩٥٦»، الذى أثار عرضه ضجة فى الرأى العام المصرى والعربى منذ عرضه.

كان هدفى من كتابة هذه المقالات وقتئذ التصدى للأباطيل التى قدمها هذا الفيلم، بمحاولته تصوير قرار تأميم شركة قناة السويس فى صورة عمل بطولى خالد واخفاء الأخطاء القاتلة التى ارتكبها عبدالناصر عند اتخاذ هذا القرار! فلقد كان من حق الشعب المصرى والشعوب العربية معرفة الحقيقة التاريخية حول هذا القرار وما ترتب عليه، من واقع الوثائق التاريخية الأصلية التى لا تكذب بعيداً عن الدعاية والتزويق!

٢٧٥ قرشاً

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب